المجلس الهدي الإسلامي

رسالة الغفران

الدالة على رحمة الملك الديّان

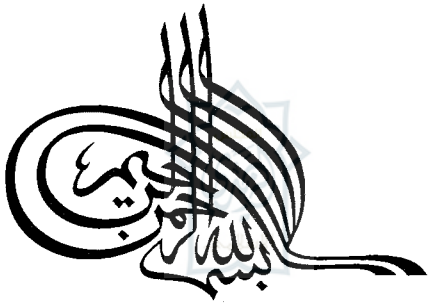
بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الغفران

الدالة على رحمة الملك الديّان

تأليف السيد العلامة

يحيى بن عبدالله راوية

رحمه الله

(١٣٥٠هـ-١٤١٤هـ)

تحقيق

عبدالله بن حمود العزي

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م

تم الصف والإخراج والتحقيق

بمركز التوحيد والعدل للدراسات والبحوث والتحقيق

اليمن ـ صعدة، ت: ٥١٤٠٠٦، ص.ب.: ٩٠١٦٨

مكتبة الإمام زيد بن علي

اليمن، صنعاء، ص.ب.: ١٥١٣٤

هاتف: ٢٠٥٧٧٧، فاكس: ٢٠٥٧٧١

ص.ب. ١٤٣٦٨٤، عمَّان ١١٨٤٤، المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف/فاكس: ٥٣٤٨١٢٨ ٩٦٢٦

P.O.Box ١٠٧٥٤, McLean, VA ٢٢١٠٢, United States of America

Website: http://www.izbacf.org , email: info@izbacf.org

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطاهرين.

وبعـــد:

هل المعاصي محبطة للأعمال؟

وهل الكبائر غير محصورة؟

وهل هي موجبة لدخول النار من غير تفريق بين كبيرة وأخرى؟

هذه التساؤلات هي موضوع هذه الرسالة التي بين يديك، وقد جاءت اثر مناقشة هادئة بين عالمين جليلين هما: مؤلف هذه الرسالة شيخنا السيد العلامة يحيى بن عبدالله راوية ـ رحمه الله تعالى ـ المتوفى سنة ١٤١٤هـ ، وبين السيد العلامة الورع

حسن بن علي بن عباس المستكا، المتوفى في الثامن من رجب سنة١٤١٥هـ، ولكن يبدوا أن هذا الأخير يرى أن المعاصي محبطة للأعمال، وأن كل عمد كبيرة، وأنها موجبة لدخول النار، دون تفريق بين عمد وآخر.

وكنت أتمنى الإطلاع على رسالته حول ذلك، لأوردها بنصها كاملة لتعم الفائدة، ولكن شيخنا العلامة يحيى بن عبدالله راوية قد ذكر مضمونها في رسالته هذه حيث قال: «وصل كتاب من سيدي العلامة، العامل، الورع، الحسن بن علي عباس، يشير فيه إلى ما يرى في المعاصي من أنها محبطة للأعمال، وأن الكبائر غير محصورة، وأنها موجبة للخلود في النيران، غير مفرق بين معصية ومعصية، وكأنه يرى بأن كل عمد كبيرة محبطة للأعمال الصالحة».

هذا الكتاب:

ومن هنا اعتبر مؤلف هذه الرسالة أن هذا المسلك ضيق، يفضي إلى تأويل كثير من الأدلة الدالة على خلافه فقال: «وهذا القول في غاية البعد، لأنا إذا ما سلكنا هذا بطلنا، وبعبارة أليق تأولنا الكثير من الآيات القرآنية، والموازنة الموضحة والمنبهة على

سعة رحمة الله وعفوه ونظره لعباده، وأيضاً سيؤدي هذا المذهب المتشدد الضيق إلى تأويل الكثير والكثير من السنة الصحيحة الصريحة الناطقة بتكفير الذنوب، والصادعة بسعة عفو الله، وغفرانه لعباده المقصرين، الذين وسعتهم رحمته، الأمر الذي أوجب عليَّ أن أحرر رسالة لإيضاح الأدلة، مؤيدة بالبراهين النيرة كتاباً وسنة، وآثاراً علوية، وسميتها: «**رسالة الغفران الدالة على رحمة الملك الديان**» .

وقد رتبها ـ رحمه الله تعالى ـ كما يلي :

❁ أورد من القرآن ما يدل على أن المعاصي تنقسم إلى كبيرة وصغيرة.

❁ أوضح أن من الكبائر ما هو محبط، ومنها ما هو غير محبط.

❁ أجاب عن دعوى أن كل عمد كبيرة.

❁ أورد جملة من الأحاديث القاضية بتكفير الذنوب، وهي:

١- أحاديث في فضل الوضوء.

٢- أحاديث في فضل الأذان.

٣- أحاديث في فضل الصلوات الخمس.

٤- أحاديث في فضل التهليل.

٥- أحاديث في فضل المرض.

٦- أحاديث في فضل غسل الميت.

٧- أحاديث في فضل الصدقة.

٨- أحاديث في فضل الصيام.

٩- أحاديث في فضل الحج.

ولأن «مسألة الكبائر» ترد في أصول الدين، وهذه الأحاديث في فروعه، فقد حاول إيضاح هذا الأمر والجواب عليه، وأورد ما يعضده من القرآن، ثم جعل الخاتمة حول مسألة الخلود في النار، لكي لا يُظن أنه يرى الخروج من النار لمناقشة بعض ما يتعلق بها.

والحقيقة إن العالمين المذكورين - رحمهما الله تعالى - وإن اختلفا في بعض تفاصيل هذه المسائل، وتصنيف الكبائر، فقد اتفقا على أنه لا نجاة لفاعل أي منها، إلا بالإنابة، والتوبة الصادقة، وهنا تظهر رحمة الله لعباده ولطفه بأمة سيدنا محمد ﷺ، فهو جل شأنه يغفر الذنوب إذا رجع الإنسان عنها رجوعاً صادقاً، نادماً على الذنب الذي ارتكبه والجرم الذي فعله، عازماً في نفسه على عدم العود إلى المعصية أبداً، قال

تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٧].

قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في كتاب «المنزلة بين المنزلتين» بعد أن أورد كثيراً من الآيات المتعلقة بأهل الكبائر: «فبهذه الآيات ونحوها، علم أن كل من أصاب كبيرة فهو فاسق فاجر، عدو لله، وأن إذا مات مصراً غير نادم ولا مستغفر، فإنه من أهل النار، خالداً فيها مخلداً، لا يخرج منها أبداً، ولا راحة فيها، فهي أبداً مثواه، جزاء بما كسبت يداه».

وقد قمت بتحقيق هذه الرسالة التي بين يديك براً بشيخنا ورداً لبعض جميله، مع ما فيها من الفوائد المفيدة، والإستنتاجات السديدة، التي لا يستغني عنها من يريد بحث مسائلها، وتحقيق مفاهيمها، وهذه ترجمة مختصرة للمؤلف ـ رحمه الله تعالى.

ترجمة المؤلف

نسبه:

هو شيخنا السيد العلامة المحقق، الخطيب المصقع، عماد الدين يحيى بن عبدالله بن حسين ـ الملقب راوية ـ بن أحمد بن محسن بن علي بن محمد بن يحيى بن حسن بن زيد بن علي بن صلاح بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأصغر الملقب بالأشل بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف الأكبر بن المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم عليهم السلام[1].

---

(١) وقد اعتمدت في تقرير نسبه الشريف على ما جاء في إجازته الموسومة (الجامعة المهمة لأسانيد كتب الأئمة) لفضيلة شيخنا السيد العلامة الولي مجد الدين بن محمد المؤيدي حفظهم الله تعالى، وهي موجودة بمكتبة المترجم له، مكتوبة بخط جميل كتب بعنايته رحمه الله تعالى، وكذلك اعتمدت على ما أورده السيد العلامة علي عبدالكريم الفضيل في كتابه: (الأغصان لمشجرات أنساب عدنان وقحطان).

مولده ونشأته وشيوخه:

ولد بمحافظة ذمار سنة ١٣٥٠هـ ، ونشأ نشأة إسلامية صالحة، وفي سن مبكر تلقى العلوم، فحصلها بهمة عالية، وعزيمة سامية، وذكاء وقاد، وقد كانت دراسته على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: كانت في موطنه الأصلي بمحافظة ذمار، وفيها أخذ المبادئ الأولية في القراءة والكتابة، والحساب والعقيدة.

المرحلة الثانية: وأما المرحلة الثانية فقد هاجر إلى صنعاء طلباً للعلم، وبحثاً عن وسائل أكثر تحقيقاً له، فالتحق بالمدرسة العلمية، ولازم السيد العلامة الكبير، والخطيب المفوه الخطير علي بن يحيى عقبات، قرأ على يديه كثيراً من المقروءات، وحفظ كثيراً من المحفوظات من أهمها مقاطع وخطب من نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك أخذ عن العلامة القاضي أحمد بن أحمد بن عبدالله البهلولي، ومن مقروءاته لديه شرح الأزهار، وشرح الكافل لابن لقمان، وشرح ابن عقيل، وحاشيته، والشرح الصغير على تلخيص ابن مفتاح.

المرحلة الثالثة: وأما المرحلة الثالثة والأخيرة فقد استقر في محافظة صعدة بجامع بير الشريفة بمنطقة رحبان، ولازم كثيراً من كبار علماء محافظة صعدة، على رأسهم شيخنا السيد العلامة المجتهد الولي مجدالدين بن محمد المؤيدي ـ حفظه الله تعالى ـ وقد لازمه ملازمة طويلة ليس في صعدة فحسب، بل وفي نجران، والطائف، والحرمين، والحجاز، وقد أخذ عنه في الفقه الروض النضير، وفي الحديث الإعتصام للإمام القاسم بن محمد عليه السلام، والجامع الكافي للحافظ العلوي رحمه الله، وجامع الأصول، ولوامع الأنوار، وفي التاريخ الشافي للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، والتحف الفاطمية وغيرها.

ومن شيوخه أيضاً القاضي العلامة يحيى حسين سهيل، وقرأ لديه في الفقه: الروض النضير للسياغي رحمه الله، والتجريد للإمام المؤيد بالله عليه السلام، والبحر الزخار للإمام المهدي عليه السلام، وفي التفسير: الكشاف للزمخشري رحمه الله تعالى، وغيرها..

ومن شيوخه أيضاً القاضي العلامة الجليل علي بن إسماعيل المتعيش الحشحوش ـ رحمه الله تعالى ـ أخذ عنه في أصول الفقه شرح الغاية، وفي الصرف المناهل، وفي المعاني والبيان شرح التلخيص، وغيرها.

ومن شيوخه أيضاً العلامة محمد بن يحيى مرغم - رحمه الله - والقاضي العلامة أحمد محمد سهيل - رحمه الله - والقاضي العلامة عبدالله إسماعيل الحشحوش، وغيرهم..

وهكذا ظل يرتقي سلالم المجد، ويغترف من معين المعارف، حتى أصبح نجماً لامعاً، وعالماً محققاً، وخطيباً مصقعاً، ومعلماً ماهراً، وهب حياته للعلم دراسة، وتدريساً، وتكبد في سبيله الغربة، وتحمل المشقة.

هجرته وتلامذته:

وإذا أطلقنا عليه العلامة المهاجر لم نبعد عن الصواب، إذ أن حياته كلها هجرة في سبيل الله، وجل أوقاته معمورة بطاعة الله، وقد كانت **هجرته الأولى** كما أسلفنا لتلقي العلوم، وتحقيق منطوقها والمفهوم، وهي على مرحلتين الأولى إلى صنعاء، والأخرى إلى صعدة، **وهجرته الثانية** لتعليم العلوم، وإرشاد الأمة، وكانت أيضاً على مرحلتين: الأولى إلى نجران، ومنه كان ينتقل إلى الحرمين الشريفين، والطائف، والحجاز، وقد استقر بمنطقة نجران أكثر من عشر سنوات، كلها عطاء، وتضحية، تتلمذ على يديه خلالها كثير من طلاب العلم،

وعشاق المعرفة.

والأخرى كانت بالحمزات القريبة من مدينة صعدة، وهي محل الأشراف الحمزيين الذين ينحدر نسبهم إلى الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، وأول إقامته كانت بالجامع الكبير، ثم عمر له بيتاً في الحمزات، وجعل بعض غرفه مدرسة علمية، وقد سارع كثير من طلاب العلم بالهجرة إليه، والتتلمذ على يديه، وذلك من برط، وذمار، وصنعاء، والحمزات، والطويلة، وربيع، وآل شليل، ونشور، وأملح، وكتاف، وغيرها.. وقد تخرج على يديه عشرات الطلاب.

طريقته في التدريس:

وله رحمه الله تعالى طريقة فذة في إلقاء الدروس ومتابعتها، إذا أنه في البداية يشرح الدرس شرحاً شفوياً، ثم يملي الدرس من الكتاب ويشرحه شرحاً مستفيضاً، وفي اليوم الثاني يسأل عنه، ليرى قدرة الطالب على استيعابه وفهمه.

وقد قرأت عليه والحمدلله كثيراً من الدروس في أصول الدين، والحديث، والفقه، والعربية، والتصوف، ووجدته بحراً زاخراً، ومعلماً فذاً، ومحققاً بارعاً، وكان - رحمه الله تعالى - كثير

المدوامة على تدريس العلوم وتحصيلها، متجاوزاً كل الظروف والعوائق مهما كانت، وأذكر أنه إذا جاء ضيوفه، ولو كان والده أو إخوانه، فإنه لا يمكن أن يتأخر عن تدريس الدروس اليومية المقررة، أو يعتذر عن تدريسها، وهذه خصلة قلما توجد في غيره.

إجازاته:

وقد أجازه عدد من شيوخه، وعلماء عصره، ومنهم: السيد العلامة المجتهد الولي مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي - حفظه الله تعالى - والقاضي العلامة علي إسماعيل المتعيش الحشحوش - رحمه الله تعالى - والقاضي العلامة يحيى حسين سهيل - رحمه الله تعالى - والقاضي العلامة أحمد بن أحمد البهلولي - رحمه الله - والقاضي العلامة عبدالله إسماعيل الحشحوش - رحمه الله تعالى - والعلامة المحدث محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي الشافعي - رحمه الله تعالى - .

برنامجه اليومي:

في عام ١٤٠٧هـ هاجرت إلى الحمزات، وتعرفت عليه، واستقريت في الجامع الكبير بالحسينية، وكنت أذهب إليه للقراءة بعد صلاة الفجر من كل يوم، وبعد أشهر ألزمني بالسكن لديه في بيته، فسعدت بذلك، لأن قربي منه أعطاني مجالاً في الوقت والتحصيل، فما من ساعة تمر إلا واستفدت منه خلالها عدة فوائد، وكان برنامجه اليومي كما يلي:

يستيقظ في الثلث الأخير من الليل، فيحييه بالعبادة، والخشوع، والتذلل، والأوراد المختارة، وقبيل أذان الفجر يوقظ من كان معه في البيت من طلاب العلم للإستعداد لصلاة الفجر، وبعد صلاة الفجر يبدأ تدريس الدروس، وكان يخصصه لتسميع محفوظات المتون، ثم تأتي الساعة السابعة صباحاً فيعد طعام الإفطار بنفسه، وكنت أحرص أن أعده أنا ومن معي من زملائي، فيأبى إلا المشاركة، وقد اعتاد أثناء تناوله طعام الإفطار على أن يستمع لشريط إما من أشرطته أو من الأشرطة التي يرى الإستماع إليها مناسباً للمعرفة والملاحظة.

وبعد الإفطار يبدأ توافد الطلاب كل حسب الدروس المقررة له حتى قبيل الظهيرة، فينام في بعض الأوقات قليلاً، ثم يصلي،

وبعد الصلاة يتم تحضير طعام الغداء، ثم يأتيه مجموعة من طلاب العلم، غير المجموعات الصباحية فيدرسهم إلى قبيل المغرب، ثم يصلي المغرب، وبعد الصلاة تأتيه مجموعة أخرى حتى صلاة العشاء، وبعد صلاة العشاء تأتيه مجموعة أخرى، وينتهي برنامجه التعليمي في حدود الساعة التاسعة مساء، وبعدما يتناول طعام العشاء وخلاله يستمع لنشرة الأخبار خصوصاً إذاعة طهران، وهكذا يستمر من يوم السبت إلى يوم الأربعاء من كل أسبوع.

وفي يوم الخميس يجعل فترة ما بعد الفجر إلى نحو الساعة العاشرة صباحاً اختباراً في المحفوظات من أول كل متن إلى آخر ما حفظ منه، وبعد الساعة العاشرة صباحاً يذهب لزيارة مشاهد الأئمة، والإلتقاء بإخوانه العلماء، وفي عصر الخميس كان يفتح درساً عاماً في التاريخ، وفي يوم الجمعة كان يستحم، ويستعد لصلاة الجمعة، وقد كان ينتقل من منطقة إلى أخرى مستغلاً خطبة الجمعة بها للتوجيه والإرشاد، هذا برنامجه اليومي بإختصار.

إنجازاته ومؤلفاته:

وإلى جانب تدريسه المستمر، وإرشاده الدؤوب، قام بأعمال

هامة في خدمة تراث أهل البيت عليهم السلام، حيث كان أحد أعضاء الهيئة العلمية لمراجعة الكتب التي طبعت أنذاك مثل الشافي للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، والإعتصام للإمام القاسم بن محمد عليه السلام ، وأنوار التمام لزبارة ـ رحمه الله تعالى ـ وقد كان يرأسها السيد العلامة الولي مجد الدين بن محمد المؤيدي ـ حفظه الله تعالى ـ كما أنه كان متلمساً لحاجات الضعفاء والمساكين، قاضياً حاجات المحتاجين.

وأما مؤلفاته فهي:

١- رسالة الغفران الدالة على رحمة الملك الديان، وهي التي بين يديك.

٢- مجموعة خطب ومقالات ـ خ ـ.

٣- بحث عن المغاني وآلات اللهو ـ خ ـ.

مقتطفات من خطبه ومواعظه:

وأما خطبه ومواعظه فلها الدور البارز، والأثر الكبير في إصلاح نفوس مستمعيها، وإرشادهم إلى النهج القويم، والطريق المستقيم، وكان فيها صريحاً، لا يحابي أحداً أو يجامله، بل يصدع بالحق قوياً، لا يخاف لومة لائم، أو سطوة ظالم.

وكان يلقي جميع خطاباته ارتجالاً، لا يحتاج إلى ورقة مكتوبة، أو خطبة مطبوعة، وهذه مقتطفات من خطبه، قال رحمه الله في خطبة له عن الربا والتحذير منه: «فها هو الربا الذي هو من أعظم المنكرات فحشاً، وأشدها إثماً، وأقبحها فعلاً، وأكبرها ظلماً، وأنكاها عقوبة، وأوجبها في النار خلوداً، وأعلنها من الله ورسوله حرباً، ها هو قد غدى فينا فاشياً، وصار بيننا منتشراً، وتعاملت به الخاصة والعامة، تعامل به الرؤساء والأمراء، واكتوى بناره العالم الإسلامي قاطبة من دون نكير، بل عمرت له البنوك، وأسست له المباني الضخمة، وأنفقت من أجله الأموال الطائلة، كأن الشرع قد دعى إليه أو حث عليه».

وقال في خطبة له عن الفتن والفساد: «قد أظلتنا الجاهلية الأخرى التي أخبر بها نبي الإسلام ﷺ، وهو يقول: «بعثت بين جاهليتين أخراهما شر من الأولى» وكيف لا تكون شراً من الأولى، وها هو الإسلام لا زال ينقض عروة عروة، وليس هنالك من يشد عراه، ويدفع عنه شر أعدائه، ويرد عنه كيدهم، لهذا كانت شراً من الأولى، لأنه ليس هنالك من يقاومها ويناهضها، أما الأولى فقد قاومها وناهضها سيد الكائنات، وأصحابه الأخيار رضوان الله عليهم، وجاهدوها بعزم، وحزم،

وصرامة، وبذلوا في محاربتها كل جهد، وصبروا على الأذى والبلاء، وصابروا حتى استأصلوا شأفتها، وأعدموها من الوجود)) .

وفي مكتبته ـ رحمه الله تعالى ـ مجلد من خطبه ومواعظه، وله عدد من الأشرطة المسجلة لخطب الجمعة وغيرها، وهي تقدر بالعشرات، وفي مواضيع متعددة.

شهادة العلماء بتحقيقه وفضله:

وكان رحمه الله تعالى محل إحترام الخاص والعام، وقد شهد بفضله أهل التحقيق من علماء عصره، على رأسهم السيد العلامة المجتهد مجد الدين بن محمد المؤيدي ـ حفظه الله ـ حيث قال في أثناء إجازته له: ((منهم سيدي الأخ العلامة قرين الفضل والإستقامة، علم العترة الميامين، عمدة الموحدين، عماد الدين، واسطة عقد الدراري، البدر المنير الساري، يحيى بن عبدالله الحسني الهادوي الملقب راوية، الذماري، أيده الله بتأييده، وأمدنا بلطفه وتسديده، وهو ممن قيض الله لنا ولهم الملازمة والاصطحاب، والمرافقة والاقتراب ليالي وأياماً، شهوراً وأعواماً، أولها بمدينة صعدة حرسها الله في الجامع المقدس اليحيوي أحياه

الله تعالى، وعمره بالعلم والعمل، ثم بنجران، والطائف، والحرمين، والحجاز، وحال تحرير هذا بنجران، أربع وعشرين شهر رجب، سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف، وذلك بعد حدوث الفتن، وتأجج نيرانها باليمن، التي نسأل الله عز وجل أن يطفي وقودها، ويعجل خمودها، ويحمي حوزة الإسلام، ويقمي أعدائه المفسدين الطغام، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وتحصل بحمدالله وفضله في خلال هذه المدد الطوال الكثير الطيب، والغزير الصيب، في جميع العلوم، منطوق ومفهوم»».

وقال القاضي العلامة الجليل علي بن إسماعيل المتعيش ـ رحمه الله تعالى ـ في أثناء إجازته له: «فإنه طلبني من وجب عليّ إجابته، وتوجه عليّ قبول طلبته ورغبته، وهو سيدي العلامة الأوحد، بقية العلماء العاملين، الباذل نفسه في إحياء دين رب العالمين، عماد الإسلام يحيى بن عبدالله راوية ..» .

وقال القاضي العلامة أحمد بن أحمد البهلولي في معرض إجازته له: «وإن كان قد ألم بعلوم جمة، وأفاد كثيراً من الأمة، وصار علماً يتهدى به، ومصباحاً يستضاء بنوره» .

مرضه وصبره:

وقد كانت تعتوره بعض الأمراض التي من أهمها مرض السكر، طال به عدة سنين، فصبر، ورضي، وشكر، وحمد الله تعالى على نعمائه وضرائه، وقد أعد الله سبحانه لأهل البلاء من أولياءه الأجر الجزيل والثواب العظيم.

وفاته وموضع قبره:

وبعد حياة مليئة بالعلم، والعمل، والعبادة، والإخلاص، والصبر على الإبتلاء انتقل إلى رحمة الله تعالى في الحرم الشريف، تالياً لكتاب الله، وكان ذلك في ظهيرة يوم الأحد الموافق: ١٣ /صفر/١٤١٤هـ ودفن بمقبرة الحجون، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقد رثي بمراثي عدة منها: مرثية للسيد العلامة علي عبدالكريم الفضيل قال فيها:

أتغيب الشموس تحت التراب وتصير البحار مثل السراب
والجبال الكبار في الأرض تنهد فتنبت في الهواء والشعاب
ويغيب العماد يحيى بن عبدالله في شبر تربه من رحاب
أنا في حيرة وفي ظلمة الحزن وبالهول قد فقدت صوابي

ومرثية أخرى للسيد العلامة إسماعيل شرف الدين، وجعل مرثيته على حروف اسمه، واسم أبيه، ولقبه، قال فيها:

يا فجعة هدّت منيفات الذرى ... كادت تذوب لها النفوس تحسّرا
حلت بأروع من سلالة هاشم ... أبهى من الروض النضير وأنضرا
يحيى بن عبدالله رواية الذي ... في عصرنا حمل اللواء الأخضرا
أحيا طريقة جده في صدعه ... بالحق لا لاوٍ ولا مستحيرا
بهرت مواعظه الرجال وزلزت ... أهل الخبال وأخزت المستكبرا
نعش البلاد بحكمة ورويّة ... حتى غدت في كل صقع مفخرا
عمّت هدايته وبورك سعيه ... في الخالدين فغرسه قد أثمرا
بوركت من بلد سقاها نبعه ... علماً تسلسل من أبيه حيدرا
دكّت صواعق نهيه للنكر أر ... باب الفساد فويلها إن يزأرا
أوقاته درس ووعظ تشتفي ... منه القلوب كما يهز المنبرا
لو كان للإسلام من أمثاله ... عدد لأرجعت الفساد القهقرا
لم يشنه طمع الدنية لا ولا ... من خوف شيء في الهداية قصّرا
الله أكبر ما أجل وأكبرا ... وأطم كارثة تنوب وأخسرا
هي ما دهت بيتاً ولا فئة ولا ... جيلاً فحسب وإنما دهت الورى
رباه لولا أن حكمك لازم ... لندبته وبكيت حتى أقبرا

أنت الذي برأ النفوس مقدرا آجالها متصرفاً فيما برا
وإليك مرجعها معلمة ورا ضية فليس لنا سوى أن نصبرا
يا رب صل على الفقيد مسلما بعد النبي والآل ما برق شرا
هم أسوتي هم قدوتي هم سلوتي هم ملجأي هم موئلي فيما عرا

عملي في تحقيق هذه الرسالة:

لشيخنا السيد العلامة المحقق يحيى بن عبدالله راوية رحمه الله تعالى جميل كبير علينا وعلى كثير من طلاب العلم، الذين شرفوا بالتتلمذ على يديه، ومن أبسط ما يمكن تقديمه لمثله هو الحفاظ على آثاره العلمية، وقد سمعت أثناء قراءتي لديه أن له رسالة في مسألة «الإحباط والموازنة» ولكن لم أطلع عليها في حياته، وبعد وفاته حاولت البحث عنها في مكتبته فلم أعثر عليها، ولشدة رغبتي في الإطلاع عليها لا زلت أسأل عنها من أعرف أن له علاقة بالمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من العلماء.

وفي أحد الأيام ذهبت إلى هجرة فلله، والتقيت بالسيد العلامة عبدالرحمن حسين شايم حفظه الله تعالى فسألته عنها، فقال إنها موجودة لديه، فسررت كثيراً، واستأذنته في تصويرها فأذن لي بذلك مشكوراً، وبعد الإطلاع عليها لم أتردد في

تحقيقها براً بشيخنا، وعرفاناً بجميله نحونا، وكانت خطة عملي في تحقيقها كما يلي:

١- دفعتها إلى الكمبيوتر للصف .

٢- استخرجت نسخة من الكمبيوتر وقابلتها على النسخة المصفوف عليها، وكانت بخط السيد محمد بن عبد الله الحجازي يوم الثلاثاء الموافق ٥ شهر جمادى الآخرة عام ١٣٩٩هـ.

٣- فصلت النص إلى فقرات ، والفقرات إلى جمل، واستخدمت في ذلك العلامات المتعارف عليها كالنقطة، والفاصلة، والقوس.

٤- وضعت هذه المقدمة المختصرة للتعريف بالكاتب والكتاب.

٥- خرجت الآيات القرآنية مع ضبطها بالشكل.

٦- خرجت الأحاديث من أمهاتها المنقول منها، وتمت مقابلتها عليها، فوجدتها مطابقة إلا ما ندر، وأصلحت ما رأيت ضرورة إصلاحه.

٧- وضعت في آخر الرسالة فهرساً للآيات والأحاديث الآثار الواردة فيها.

٨- ما أضفته من العناوين وضعته بين معكوفتين هكذا [ ].

وأخيراً: أسأل الله أن يتغمد شيخنا بواسع رحمته، وأن يرحمه رحمة الأبرار، ويسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وأسأله تعالى أن يغفر ذنوبنا، ويستر عيوبنا، إنه غفور رحيم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

عبدالله بن حمود العزي

اليمن - صعدة

١٤٢٢/٤/٢٨هـ الموافق: ٢٠٠١/٧/١٩م

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم وبـه نستعين

الحمد لله الداعي لعباده إلى رحمته، وجنته، وثوابه، وغفرانه، المنفر لهم عن معاصيه، والمحذر من مخالفته، وغضبه، ونيرانه، والحمدلله الذي جعل الجنة لمن أطاعه، والنار لمن عصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند، ولا نظير، ولا شبيه، ولا مثيل، المتفضل على من أطاعه بمضاعفة الثواب، والرحيم بالعباد، العادل في العقاب، القائل في كتابه المنزه من الباطل، المنزل من الحكيم الحميد: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ [الأنعام:١٦٠].

فرغّب في الطاعة وضاعف ثوابها، ونفر عن المعصية، وجعل جزاءها مثلها، وصدق الله سبحانه إذا يقول: ﴿**وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٩].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه ونجيبه، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، الذي صبر على الأذى

وصابر، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، ورغب في الطاعة قولاً وفعلاً وعملاً، ونفر عن المعصية لعظم الثواب وحسنه، ومثله بأجلى مظاهره، وصور العقاب وأوضحه، وضرب لهما الأمثال، فقال على لسان ربه: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾ [محمد:١٥] صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأشهد أن علياً أخوه، ووصيه، والخليفة من بعده بلا فصل، المبين للأمة ما اختلف فيه بعد أخيه، المنزل منه بمنزلة هارون من موسى، الذي أفاض عليه من علمه ونوره الرباني، فهو بلا شك تلميذ محمد، وخريج الجامعة النبوية، والكلية الإسلامية خدين النور الإلهي، والإيمان القوي الذي شهد له محمد ﷺ، بل ورب محمد بالعلم والإيمان، أخص الناس بنبيه، وآخرهم به عهداً، المنزل فيه: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[1] [الحاقة:١٢] والآتي فيه على لسان النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[2] وكأني

---

(١) ينابيع النصيحة: ص٣٩٦، الكشاف: ج٤/٦٠٠، الواحدي في أسباب النزول: ص٣٦١، الدر المنثور: ٦/٤٠٧.

(٢) حديث المدينة من الأحاديث الصحيحة المشهورة رواه أئمتنا وجمع من=

بقائل يقول مصوراً لهذه الأشياء:

ولا عجب أن طبت عرساً فلم يكن ... على الأرض غير البيت ضمك مولد

وربيت في حجر الرسول ملقنا ... هداه كما شاء الإله المسدد

تلقيت منه الدين طفلاً ويافعاً ... فطوبى لمن غذاه بالدين أحمد

[سبب التأليف]

وبعد فإنه وصلني كتاب من سيدي العلامة، العامل، الورع، الحسن بن علي عباس[1]، يشير فيه إلى ما يرى في المعاصي من

المحدثين، رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب العدل والتوحيد ٦٩ (رسائل العدل والتوحيد)، ورواه الشريف الرضي في مجازات السنة: ٢٠٣ - ٢٠٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٦ - ١٢٧) من طرق وصححه، والطبراني في الكبير (١١/ ٦٥- ٦٦ رقم ١١٠٦١) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦ / ٩٩، وقال : سألت أبي عنه فقال : ما أراه إلا صدقا، وقد ألّف السيد العلامة الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري كتاباً حول هذا الحديث استكمل فيه طرقه، وبيّن صحته، سمّاه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي)

(١) السيد العلامة الجليل، الحسن بن علي بن عباس المستكا، ينحدر نسبه إلى الإمام القاسم بن محمد عليهما السلام، أحد علماء الزيدية الأجلاء، وأحد القراء المتقنين، عرفته أثناء قراءتي في جامع الإمام الأعظم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، وقرأت عليه بعض سور القرآن الكريم، وذلك عام ١٤٠٨هـ ووجدته عالماً، عابداً، ورعاً، زاهداً، وقد توفي في الثامن من رجب سنة ١٤١٥هـ، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

أنها محبطة للأعمال، وأن الكبائر غير محصورة، وأنها موجبة للخلود في النيران، غير مفرق بين معصية ومعصية، وكأنه يرى بأن كل عمد كبيرة محبطة للأعمال الصالحة، وهذا القول في غاية البعد، لأنا إذا ما سلكنا هذا المسلك أبطلنا، وبعبارة أليق تأولنا الكثير من الآيات القرآنية الدالة على التكفير، والموازنة الموضحة، والمنبهة على سعة رحمة الله وعفوه، ونظره لعباده، وأيضاً سيؤدي هذا المذهب المتشدد الضيق إلى تأويل الكثير والكثير من السنة الصحيحة الصريحة الناطقة بتكفير الذنوب، والصادعة بسعة عفو الله وغفرانه لعباده المقصرين الذين وسعتهم رحمته، الأمر الذي أوجب عليَّ أن أحرر رسالة لإيضاح الأدلة مؤيده بالبراهين النيرة كتاباً، وسنة، وآثاراً علوية، وإن كنت معترفاً بقلة البضاعة، وقصور الباع، لكن كما قال الله جلت رحمته: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ...﴾ [الطلاق:٧] الآية، وسميتها «**رسالة الغفران الدالة على رحمة الملك الديان**» وبعد:

[بداية المناقشة]

فهذا أوان الشروع في المقصود فأقول، وبالله التوفيق، وعليه التوكل، وإليه المصير، ومنه الإعانة والتسديد:

أيها القائل بأن كل عمد كبيرة ما معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]؟ .. أليست هذه الآية ناطقة بصراحة بأن المعاصي تنقسم إلى صغيرة، وكبيرة، وأن الصغائر تكفر بمجرد اجتناب الكبائر، فما هي يا ترى هذه الصغائر أهي الخطأ والنسيان؟.

إذا قلت: نعم، فالخطأ والنسيان مرفوعا عن هذه الأمة كتاباً وسنة، قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ﴾ [الأحزاب:٥] ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال الرسول الأمين عليه وعلى آله أفضل الصلوات والتسليم: «رفع عن أمتي الخطأ، النسيان»[1].

فإن استدللت بمعصية آدم، وقلت: قد سماها الله معصية ونسبه إلى العصيان، فقال سبحانه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:١٢١] قلنا لك: الدليل قائم على أن الخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمة وهو من خصائصها، إذا عرفت هذا فلم يبق إلا التسليم أن بعض العمد صغيرة، وأن المعاصي تنقسم إلى صغيرة، وكبيرة؛ وإلا بطل معنى الآية التي تدل على تقسيم المعاصي إذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الطلاق برقم (٢٠٣٣)، وبرقم (٢٠٣٥) بزيادة «...وما استكرهوا عليه».

اتضح هذا، فلم يبق إلا البيان للكبيرة من الصغيرة لنجمع شمل الأدلة من الإهمال والإهدار، فنقول: الكبيرة ما ورد الوعيد عليها، وهذا نص أمير المؤمنين وهو يقول في خطبته الأولى مقسماً للقرآن إلى أن قال: «ومباين بين محارمه من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه، وموسع في أقصاه»[1] وهو مذهب حفيده إمام الأئمة زيد بن علي عليه السلام، فإذا عرفنا أن الكبيرة ماورد الوعيد عليها، عرفنا أن الصغيرة عكسها، ومن هنا يمكن حصر الكبائر من تتبع الكتاب والسنة المتواترة، لا كالأثر الذي أوردتموه مستدلين به على أن المعاصي الكبار لا يمكن حصرها، وهو لا صغيرة مع الاصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، وهذا الدليل لا ينهض ولا يمكن أن يعارض به الكتاب المعلوم متناً وإسناداً.

[أنواع المعاصي]

إذا عرفنا هذا فنقول: إن في الكبائر ما هو محبط لجميع أعمال الخير، وجاعلها هباءً منثوراً، فمن ذلك الكفر بجميع أنواعه: من شرك، وإلحاد، وزندقة، لهذا نرى الله بعد أن يذكر

---

(١) نهج البلاغة:٤٥.

الكفر والكافرين، يقول: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] أو كما يقول: في آية أخرى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وكالردة وإن كانت نوعاً من الكفر، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد نص عليها بذاتها، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

فهذه الآية تدل على إحباط أعمال الكافر المرتد بخصوصه، وإن كان داخلاً تحت عموم الآيات الدالة على الإحباط، خلا أن هذه الآية تدل على أن مجرد الردة على انفرادها لا توجب الإحباط، ولا الحكم على صاحبها بالنار، بل إذا مات عليها وكانت متصلة بالموت، لهذا ذهب نجم آل رسول الله الإمام القاسم بن إبراهيم[1] عليه السلام إلى أن الردة بعد الإسلام لا يبطل بها

---

(١) الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ابن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - نجم الآل الأكرمين. ولد بالمدينة سنة (١٦٩) هـ فاق أقرانه،وكان وحيد عصره،وفريد دهره، وعين زمانه،فقهاً وعلماً، وتواضعاً، وورعاً، وشجاعة - مكث بمصر ما يقارب عشر سنوات نشر خلالها عقائد أهل البيت، وكان المأمون يشدد في طلبه، ولما توفي شقيقه محمد بن إبراهيم قام بأمر الإمامة، وبايعه رؤساء العترة،حتى سميت بيعته البيعة الجامعة لإجماعهم عليها، طاردته الجيوش العباسية مرارا في اليمن والحجاز، خلف لنا تراثا فكرياً رائعاً ومنه : (كتاب العدل والتوحيد)، =

الحج، وإن المرتد إذا أسلم لا يجب عليه إعادة الحج؛ لأنها مقيدة بالإتصال بالموت؛ فإذا كانت الردة، وهي من أعظم المعاصي لا توجب الإحباط، ولا الحكم على صاحبها بالنار، فكيف بغيرها من المعاصي، فلم نقول بأن مجرد النظرة إلى الأجنبية تعمداً تحبط الأعمال، ومن المعاصي ما يحبط شيئاً واحداً، ألا وهي الصدقة، وذلك المن والأذى يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿**لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾ [البقرة:٢٦٤]، ومما يوجب الإحباط التكبر المقرون بالإستنكار، والاعتراض على حكمة الله، كما فعل إبليس اللعين، لهذا طرده الله وأحبط عمله؛ لأن استنكاره عليه ـ تعالى سلطانه وعزت عظمته ـ كفر وزندقة.

ومنها: رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ؛ لأن الرافع لصوته يستشعر بأن رتبته أعلى من رتبة المرفوع عليه صوته، لهذا جاءت الآية تندد بالرافع لصوته قائلة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات:٢] مع أن هذه الآية لا تدل على الإحباط قطعاً؛ لأن هذه هي أن

(والدليل الكبير على الله)، (والرد على الروافض)، (والرد على الملحد)، وله الكثير من المؤلفات التي تزيد على العشرين مؤلفاً. أخباره كثيرة، ومناقبه غزيرة ـ توفي سنة (٢٤٦) هـ بالرس رحمه الله تعالى.

المفتوحة الناصبة، لا يخلو إما أن تكون في محل نصب، فيكون التقدير خشية أن يحبط أعمالكم، أو في محل جر، فيكون التقدير لأن، وأن الناصبة تدل على الرجاء لا على التأكيد، ولهذا لم تقل الآية حبطت أعمالكم.

ومنها: الربا المتوعد عليه بالخلود في النيران، قال الله سبحانه: ﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٥]، لهذا تأذن الله على صاحب هذه الكبيرة بالحرب منه، ومن رسوله، فقال: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٩].

ومنها: القتل والزنا، المقرونان بالشرك، المهدد عليهما مع الشرك بالخلود في النار، ومضاعفة العذاب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا...**﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩] إلى آخرها.

فهذه، وأمثالها، وما يساويها من المعاصي المتوعد عليها بالنار، والخلود فيها المقيدة بالتوبة، فمثل هذه لابد فيها من التوبة؛ وإلا كانت محبطة للأعمال.

[الأدلة العلوية على أقسام المعاصي]

ومما يدل على أن المعاصي تنقسم إلى أقسام:

قول علي عليه السلام في بعض خطبه: «ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم معفو عنه لا يطلب، وظلم لا يترك: أما الظلم الذي لا يغفر: فالشرك بالله، وأما الظلم الذي لا يطلب: فظلم العبد نفسه عند بعض الهفات، وأما الظلم الذي لا يترك: فظلم العباد بعضهم البعض، هناك القصاص شديد، ليس هو جرحاً بالمدى، ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه»[1].

ومن هنا نعلم أن الكفر أعظم المعاصي، وأشدها، وأنه لا يغفره، ولا يجب ما يترتب عليه من الآثام إلا الإسلام، ومما يشير إلى أن الإحباط لا يقع بمجرد إيقاع المعصية، بل لا بد من الاستمرار عليها إلى الموت، قول علي عليه السلام: «فإذا كانت لكم برآءة من أحد، فقفوه حتى يحضره الموت»[2].

هذا ويمكن تتبع المعاصي، ومعرفة الصغيرة من الكبيرة بتتبع الكتاب والسنة، وليس لنا أن نقيس سائر المعاصي على ما ذكر آنفاً وعلى ما يساويه، وإن كانت كبيرة؛ لأن القياس لا يصح

---

(١) نهج البلاغة: ٢٥٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧٩.

إلا بعد معرفة العلة، واستوائها في التخفيف والتغليظ، ومقدار الثواب والعقاب، مما أختص الله به وحده، فهو عالم بما يستحقه العامل بالطاعة من الإجلال والتعظيم، وما يستحقه العاصي من الجزاء والتنكيل، واللعنة والغضب.

فلهذا قلنا: لا يصح القياس؛ لأنه متفرع على معرفة العلة واستوائها تغليظاً، وتخفيفاً، فلا طريق للحكم بالإحباط إلا الكتاب والسنة، فما علمناه من المعاصي محبطاً ألحقناه بما سبق آنفاً، وإلا أعملنا آية الموازنة، والتكفير، وهما متقاربان.

[اعمال الأدلة وتطبيقها]

وبهذا نجمع شمل الأدلة، ونعملها، ولا نهدرها، فما علمنا كبره ولم نعلم بأنه محبط أرجعناه إلى آية الموازنة والتكفير، مع إنا إذا قلنا بالموازنة فقد قلنا بالإحباط، فمن كان أكثر ثواباً كان من أهل الجنة، وأذهبت الحسنات السيئات، ومن كانت سيئاته أكثر فقد أحبطت حسناته، وحكم عليه بالنار والخلود فيها أبداً، ومن كانت معاصيه صغيرة كفرت بجنب الطاعات، أو الموازنة؛ لأن الثواب يكون سبباً للستر وعدم المؤاخذة على الصغيرة، والموازنة معناه الغلبة إما للطاعة وإما للمعصية، فإن

كثُرت الحسنات غلبت السيئات، والعكس بالعكس.

بعد هذا بقى علينا مناقشة بعض الأدلة، ثم نتكلم على الخلود ومعناه، ثم ننظر في أدلة القائلين بالخروج من النار ونناقشها.

[دعوى أن كل عمد كبيرة والجواب عليها]

نعم إذا قال من يدعي: أن كل عمد كبيرة: ألستم قد قلتم أن الكبيرة ماورد الوعيد عليها فإنا نقول بالموجب؛ فإن الله جلت قدرته وتعالى شأنه قد توعد كل عاص بالنار والخلود فيها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ [الجن:٢٣].

قلنا: هذه الآية عامة يدخل في عمومها المخطئ، والناسي والتائب، ومن استوت حسناته وسيئاته، والمتجري، والكافر، ومن أصيب بأنواع من البلاء، فإذا جاز لكم أن تخصصوا التائب، والمخطئ، بموجب الدليل الدال على تخصيصهما وإخراجهما، جاز لنا أن نخصص مقترف الصغيرة، ومن كانت له حسنات كثيرة غالبة قاهرة للسيئات، ونحكم بأن الحسنات تحبط وتذهب السيئات، كما أن السيئات تحبط الحسنات، والكل منصوص عليه، فلستم بأولى منا بالتخصيص، فإن قلتم

بالأولوية تحكمتم، أوليس الله يقول: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء:٣١] ويقول سبحانه: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢] ويقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤] كما يقول: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣] ويقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ويقول: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] كما يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة:٧-٨].

فقل لي بربك أيها القائل بالإحباط ما معنى هذه الآية إذا لم تقل بالموازنة، أليس يلزم أن يكون الشخص العامل بالخير والشر معظماً منعماً مكرماً ملعوناً مهاناً ذليلاً حقيراً، معذباً في النار مخلداً في الجنان؛ لأنه مطيع عاص، وقد قالت الآية الأخرى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] ـ تعالى الله عن الظلم وتقدس عنه وعن كل صفات النقص ـ فلم يبق بعد هذا أيها المرتاد للحق، والطالب للرشاد، والمحكم للكتاب العزيز إلا النجوع والتسليم للأدلة، والقطع بالموازنة لئلا تتعارض الأدلة وتتناقض يا أولي الألباب.

ألا ترى إلى آية الكهف، وما يقول المجرمون عند وضع الكتاب، ومشاهدة سيئاتهم مع قلة حسناتهم، انظر ما يقول: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٩] فدلت الآية على أن المجرمين يجدون جميع الأعمال مكتوبة مزبورة، ولهذا نراهم يدعون على أنفسهم بالويل والثبور عند مشاهدة أعمالهم جميعها، صغيرها، وكبيرها، وجليلها، وحقيرها، ولهذا يتعجبون من الكتاب قائلين:﴿**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**﴾ ، ثم أكد الله ذلك بقوله: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾ _أي مشاهداً_ مع أنه نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، لهذا دعوا على أنفسهم بالويل والثبور، ما ذاك إلا أن سيئاتهم كثيرة محيطة بهم، قاضية على الحسنات.

وبالله عليك قل لي بربك ما معنى قوله تعالى: ﴿**خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ [التوبة:١٠٢] أليست هذه تدل على الموازنة، وعدم الإحباط، إذ لو كان هناك إحباط لما قال خلطوا؛ لأنه إذا طرأ أحدهما على الآخر أبطله، وأذهبه، فلا معنى للخلط .. إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

فهل ينبغي ياأولي الألباب، والأفكار الصافية، والأنظار الصائبة، أن نهمل هذه الأدلة، ونتأولها تأويلاً بعيداً متعسفاً.

ما أراكم ترون هذا وحاشاكم؟!

[الأدلة من السنة على الموازنة]

وأما السنة وما جاءت به.

[الوضوء وتكفير السيئات]

نعم أول ما أبدأ بالوضوء وما جاء فيه، قال عثمان وهو يروي وضوء رسول الله ﷺ قال: توضأ رسول الله ﷺ وضحك كما ضحكت، وقال لأصحابه: «ألا تسألوني ما أضحكني» قلنا: ما أضحكك يارسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «أضحكني أن العبد إذا توضأ وغسل وجهه حط عنه كل خطيئة أصاب بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك»[1] وهو طرف من حديث رواه البزار.

---

(١) أحمد في مسنده، برقم (٣٩١)، وفي موطأ مالك برقم (٥٦) كتاب الطهارة، ومسلم برقم (٣٦٠) كتاب الطهارة، وسنن الدارمي برقم (٧١٢) في كتاب الطهارة، وكلها باختلاف يسير.

قال في «مجمع الزوائد» ورجاله رجال الصحيح، وهو في الصحيح باختصار، وله شواهد كثيرة، منها ما رواه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه بالتصريح في كل عضو بأنها تخرج منه الذنوب عند غسله[1].

وقال ﷺ: «لو أن رجلاً كان يعمل، وكان بين منزله ومعتمله خمسة أنهار؛ فإذا أتى معمله عمل ما شاء الله فأصابه الوسخ، والعرق، فكلما مر بنهر اغتسل، ما كان يبقى عليه من درن»[2] رواه البزار، والطبراني في «الأوسط» و«الكبير».

وفي «أمالي أبي طالب» عليه السلام عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطيئات، ويزيد في الحسنات» قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد،

---

(١) أمالي الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام: ج١/٣١، روى المحدث محمد بن منصور المرادي بسنده إلى أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرب الرجل وضوء، فغسل كفيه كفر عنه ما عملت يداه، فإذا هو تمضمض، واستنشق، كفر الله عنه ما نطق به لسانه، فإذا هو غسل وجهه كفر الله عنه ما نظرت عيناه».

(٢) مسلم برقم (١٠٧١)، (١٠٧٢)، والترمذي برقم (٢٧٩٤) والنسائي في سننه برقم (٤٥٨) والبخاري برقم (٤٩٧)، وكلهم بمعناه.

وانتظار الصلاة بعد الصلاة»[1]، هذا ما جاء في الوضوء من تكفيره للخطيئات، والسيئات.

فقل لي بربك بإنصاف ما هي هذه الخطيئات؟ وما تلك السيئات التي يكفرها الوضوء؟ هل هي الخطأ والنسيان المرفوعان بالدليل؟

فإما أن تقول أن هنالك خطايا متعمدة، وإلا عطلت الأدلة؛ لأن تكفير ما هو مرفوع محال، فإذا لم تقل أنها بعض العمد كان معناها متروكاً، مرمياً به وراء الحائط، وكأنما جيء بها ...[2] وشغل الأوقات، والدفاتر، والأوراق بها، وما أظنك تقول بهذا أو يقول به عاقل ـ فضلاً عن عالم جليل ـ.

[الأذان وتكفير السيئات]

وإليك ما جاء في الأذان، من التكفير للذنوب والمعاصي، تفضلاً من الله ورحمة، روى إمام الأئمة زيد بن علي في مجموعه عن آبائه عليهم السلام عن رسول ﷺ قال: «يأتي المؤذنون

---

(١) أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام: ١٦١، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة وسننها برقم (٤٢١)، وفي كتاب المساجد والجماعات برقم (٧٦٨)، وأحمد في مسنده برقم (٦٩١١).

(٢) كلمة لم تتضح في الأصل.

يوم القيامة أطول الناس أعناقاً ينادون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فلا يسمع المؤذنين شيء إلا شهد لهم بذلك يوم القيامة، ويغفر للمؤذن مد صوته وله من الأجر مثل المجاهد الشاهر لسيفه في سبيل الله»[1].

وفي أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لو كنت مؤذناً ما كنت أبالي أن أحج ولا أعتمر ولا أغزو، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أذن سبع سنين تصدق له نيته، كتب له براءته من النار» ـ ثم قال ـ : «لو أن الملائكة نزلت من السماء لغلبتكم على الأذان»[2].

وأخرج النسائي، عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم، والمؤذن يغفر له مدى صوته، ويصدقه من سمعه من رطب ويابس، وله من الأجر مثل أجر من صلى معه»[3].

هذا هو الأذان، وهذا هو فضله، وهذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يصرح بأنه مكفر للذنوب، وإن كثرت وبلغت في الكثرة ملئ الجهات التي يبلغها صوت المؤذن، وهذا تمثيل وتصوير للذنوب بالأشياء

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام:٩٧.

(٢) أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام: ١٧٢.

(٣) أخرجه النسائي في سننه في كتاب الأذان برقم (٦٤٢).

المحسوسة التي تملأ الجهات، وهذا دليل واضح على فضل الأذان، وإن لـه شـأناً كبيراً، ومكانـة عظيمة عـند المولى عزوجل، وإنه يكفـر الذنوب الكثيرة ويذهبها، ويرفع الدرجات ويسمو بها إلى الغاية القصوى.

فمـا هـي هذه الذنوب التي يكفرها الأذان، وإن بلغت مبلغاً عظيماً في الكثرة؟ بـل يكـتب لمـن أذن سبع سـنين صادق النية البراءة من النار؟!

فـإذا كـانت الذنوب التي يكفرها الأذان هي الخطأ والنسيان، فـأين التكفير يا أولي الألباب؟ وهل هذا إلا إهدار للنص وإهمال له!

[الصلاة]

الصلاة، وما جاء فيها من التكفير للذنوب.

أخـرج الإمام زيد بن علي عليه السلام في المجموع، عن آبائه عليهم السـلام، عـن عـلي كرم الله وجهه: «الصلوات الخمس كفارات لمـا بيـنهن مـا اجتنـبت الكـبائر» وهـي قـول الله عـزوجل: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ قال: فسألناه: ما الكبائر؟ فقال: «قتل النفس المؤمنة، وأكل مال اليتيم، وقذف

المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، واليمين الغموس»[1].

وقد روى البخاري أن سبب نزول هذه الآية أن رجلاً قبّل امرأة، وفي بعض كتب الحديث إنه فعل جميع المقدمات للزنا، ما عدا الوطئ، ثم جاء إلى النبي ﷺ قائلاً له وفعلت، وفعلت، وفعلت، فنزلت الآية: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[هود:١١٤][2].

فهل تراه فعل هذا على سبيل العمد؟ أم على سبيل الخطأ والنسيان؟

[الكبائر الأخرى]

نعم: وإن كان ظاهر الحديث أن ما عدا هذه الأشياء المذكورة في الحديث تكفر بالصلاة، إلا أنا لا نجري على الظاهر مفهوم العدد غير معمول به؛ لأنه معارض لصرائح الكتاب والسنة.

---

(١) أثبتنا هذا الحديث بلفظ مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ١١١-١١٣، وذلك لوجود اختلاف يسير في نص الحديث الموجود بهذه الرسالة.

(٢) البخاري برقم (٤٩٥) في كتاب (مواقيت الصلاة)وكذلك برقم (٤٣١٩) في كتاب (تفسير القرآن).

أما ترى القرآن يصرح بأن الشرك ظلم عظيم، وهو غير مذكور في هذا الأثر، وكذا الربا من المعاصي العظمى البالغة في الكبر المنتهى، وغيرها من كبار المعاصي غير مذكورة هنا؛ فكأنه قال هذه وما ساواها؛لأنك قد عرفت قوله فيما مضى أن الكبيرة ماورد الوعيد عليها من قوله ﷺ: «ومباين بين معاصيه من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه»[1]، ومن هنا نعرف صحة هذا التأويل.

وإليك ما يوضح، ويحقق ما قلنا من الرواية الأخرى الذاكرة لأشياء من المعاصي لم تذكره الأولى، فقد روى السيوطي عنه ﷺ أنه قال: «الكبائر الشرك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، والسحر، وعقوق الوالدين، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة»

وهذا مما يدل لك أنه ﷺ لا يريد الحصر؛ لأن الرواية الأخرى أثبتت ما لم تثبته الأولى، وتركت بعض ما أثبتته الأولى، ألا ترى أن الشرك، والسحر، والربا، وفراق الجماعة غير مذكور في الرواية الأولى، كما تركت الرواية الأخرى ما ذكرته الأولى من القذف، واليمين الغموس، والفرار من

---

(١) تقدم تخريجه.

الزحف، وفيه أيضاً: «الكبائر تسع: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا»[1].

ومن رواية (جمع الجوامع) تعرف أن المعاصي تتفاوت في العظم والكبر، وأن هذه المذكورة هي أعظم المعاصي عقوبة وأخذاً وتنكيلاً وإيجاباً للإحباط من قوله: أشدها الشرك، ثم عد البقية المشاركة للشرك في العظم والكبر، ومثل هذه لا يمكن فيها الموازنة بل توجب لمن أرتكبها النيران إلا أن يتوب عوداً على بدء.

وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس كفارة لما بينها»[2].

ومما جاء في صلاة الجمعة «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة، فاستمع، وأنصت، غفر له من الجمعة إلى الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام» أخرجه مسلم[3].

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه برقم (٢٤٩٠) في كتاب الوصايا.

(٢) مسلم برقم (٣٣٨) كتاب الطهارة، وفي سنن الترمذي برقم (١٩٨) كتاب الصلاة.

(٣) مسلم برقم (١٤١٩) كتاب الجمعة.

أليست هذه الأحاديث الواردة في الصلوات الخمس، والجمعة، ناطقة ومصرحة، وقائلة بأن الله يغفر بها الذنوب الصادرة من عباده المقصرين؟

فما هي هذه الذنوب المكفرة المغفورة أهي عمداً، أم خطأ؟ فإن قلت: عمد، عرفنا بأنه ليس كل عمد كبيرة وهو المطلوب، وإن قلت: خطأ، ونسيان، أبطلت الأدلة وأهملت معانيها، وصيرتها بالتأويل المتعسف البعيد خالية جوفاء وعطلت المقصود منها، وجعلتها ككادث، ومادث.

ما أراك ترضى بهذا فأعد النظر، واعمل الأدلة لتخرج من هذا المأزق الحرج، والله الهادي إلى سواء السبيل.

صلاة التسبيح وما جاء فيها من الفضل:

أخرج محمد بن منصور المرادي عن أم هاني أن النبي ﷺ علم عمه العباس صلاة التسبيح لما جاء إليه قائلاً له قد علمت يارسول الله ما كان مني في الجاهلية، فعلمه صلاة التسبيح المعروفة المذكورة في موضعها، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لو كانت ذنوبك يا عباس مثل عدد نجوم السماء، وعدد قطر السماء، وعدد أيام الدنيا، وعدد الشجر والمدر، وعدد رمل

عالج لغفرها الله لك»[1].

وفي «شرح الإبانة» وأما صلاة التسبيح فهي ما علم النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى آخر كلامه[2].

وروى أبو العباس الحسني[3] عن الهادي[4] مثل ذلك في

---

(١) أخرجه المحدث محمد بن منصور المرادي في كتاب الذكر: ٣٦٩-٣٧٠، وابن خزيمة: ٢/٢٢٣، وأبو داود برقم (١٢٩٧).

(٢) شرح الإبانة - خ - .

(٣) السيد العلامة المجتهد النظار، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين العالم النحرير، الحافظ أحد عظماء الزيدية، شيخ الأئمة، ووارث الحكمة، إمام المعقول والمنقول، وهو أحد تلامذة الإمام الإطروش، وشيخ الإمامين العظيمين: المؤيد بالله، وأخيه أبي طالب، له الكثير من المؤلفات الواسعة المفيدة، منها المصابيح في التاريخ، وله شرح على المنتخب، والأحكام، وكتاب النصوص وغيرها، توفي رحمه الله تعالى، سنة (٣٥٣) هـ وأخباره كثيرة، وفضائله غزيرة .

(٤) الإمام الهادي إلى دين الله القويم، يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم . أحد أئمة الزيدية العظماء، ورموز الآل الأكرمين، جم الفضائل، كثير المناقب. ولد سنة (٢٤٥) بالمدينة المنورة، انتشر فضله في الآفاق وذاع صيته في أصقاع البلاد .طلبه ملوك اليمن وعلمائها، فخرج إلى اليمن، فحل بحلوله الخير، أصلح بين القبائل المتحاربة، وجاهد أصحاب العقائد الفاسدة من الباطنية، ونشر الدين الإسلامي بكل إخلاصٍ وتجرد . وألف المؤلفات العظيمة في كثير من الفنون ومن هذه المؤلفات: (كتاب الأحكام) - ط - في الفقه -، وكذلك (المنتخب والفنون) - ط - وكتاب (التفسير)، وله (المجموعة الفاخرة) التي تحتوي على نيف وعشرين رسالة تعالج قضايا العقيدة ولم يزل مجاهداً ناشراً للعلم حتى توفي سنة (٢٩٨) هـ بصعدة وقبره بجامعه المشهور، مشهور مزور .

مسائل محمد بن القاسم[1] التي سأل عنها والده القاسم بن إبراهيم[2].

[أفضل النوافل المكفرة]

أما أفضل النوافل فصلاة التسبيح، وهي صلاة جعفر بن أبي طالب علمه رسول الله ﷺ بخيبر، فقال له: «ألا أهب لك؟، ألا أعطيك؟، ألا أنحلك؟» قال: حتى ظننت أن رسول الله سيعطيني ما لم يعط أحداً، فعلمني صلاة التسبيح[3]، ومن هنا قول النبي ﷺ المتلو عليك لجعفر وللعباس عليه السلام تعرف مكانة هذه الصلاة ومالها من المزية والمرتبة، أو ما ترى ما قاله النبي ﷺ لعمه العباس مبيناً لفضلها وأجرها ومحوها لذنوب لمن

---

(١) هو الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، أحد أئمة العترة النبوية الطاهرة وعظمائها، ولد عليه السلام سنة ٢٠٠هـ تقريباً، رحل إلى أكثر البلدان؛ لإحياء السنة، وإماتة البدعة، والعمل بالقرآن، فأقام ببغداد، والبصرة، ودخل الأهواز وخرصان، والشام، وله الكثير من المؤلفات منها: (تفسير القرآن الكريم) - خ - (الأصول الثمانية) طبع بتحقيقنا، (شرح شروط الإيمان) - خ - (الشرح والتبيين) - خ - (الهجرة والوصية) - ط - (الوافد على العالم) - ط - توفي عليه السلام سنة ٢٨٤هـ.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) كتاب الذكر: ٣٦٩-٣٧٠، وابن خزيمة في صحيحه: ٢/٢٢٣، وأبو داود برقم (١٢٩٧).

فعلها، وإن جلت، وعظمت، وبلغت الغاية القصوى، حتى ولو كانت عدد نجوم السماء إلى آخر الحديث.

فما هذه الذنوب التي تكفرها هذه الصلاة، أهي صادرة على سبيل العمد؟ فإن قلت: نعم رجعت عن قولك، وجعلت للحديث معنى قويماً، وأعطيته مفهوماً حسناً، ورعيته حق رعايته من ترغيبه للعباد في فعل الطاعة، وإن قلت: هي الخطأ والنسيان أوقعت نفسك في مأزق حرج لا يمكن الخروج منه إلا بالرجوع عن المذهب.

وبالله عليك هل جاء العباس إلى النبي ﷺ في وقت الهاجرة يشكو مما وقع منه في الجاهلية هذا الأمر الذي أفزع العباس وأخرجه وحمله على الذهاب إلى النبي ﷺ في مثل هذا الوقت، هل هو صادر منه على سبيل العمد؟ أم على سبيل الخطأ والنسيان؟ لا شك أنه على سبيل العمد والعدوان لهذا خرج وقت الهاجرة، ومن أجل هذا سأله النبي ﷺ قائلاً: «يا عباس يا عم النبي ما جاء بك في الهاجرة» فقال العباس مجيباً عليه: بأبي أنت وأمي ذكرت ما كان مني في الجاهلية، فعرفت أنه لم يفرج عليَّ بعد الله غيرك فعلمه النبي ﷺ صلاة التسبيح، مبيناً له مزاياها، وما فيها من الفضل، ومالها من المكانة عند

المولى جل جلاله، وأنت لا تستطيع أن تجزم بأن هذه الذنوب المفروضة، المقدرة المشبهة بنجوم السماء إلى آخر ما ذكره، تصدر على سبيل الخطأ والنسيان حتى تعد عندك صغيرة مكفرة بجانب هذه الصلاة العظيمة، سبحانك اللهم وبحمدك ما هكذا بك.

التهليل وما جاء فيه:

عن علي بن موسى الرضا[1] عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: (لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي)»[2].

وفي رواية أخرى للحديث، حدثني أبي موسى الكاظم[3] عن

---

(١) الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين، أحد أئمة العترة الطاهرة، ولد سنة (١٤٨) هـ بالمدينة المنورة وكان من أعلم أهل زمانه، ومن أكثرهم صوماً، وعبادة، وله مناقب وكرامات، وله المسند المذكور، ويسمى أيضاً بصحيفة علي بن موسى الرضا المشهورة بالسند المتصل بالعترة الطاهرة وقد احتوت على أحاديث في العلم والصلوات، وفي فضائل أهل البيت، وفي برالوالدين وصلة الأرحام، وفي فضل الجهاد توفي عليه السلام سنة (٢٠٣) هـ بخراسان .

(٢) الصحيفة: ٤٤٠.

(٣) هو الإمام موسى الكاظم بن جعفرالصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أحد أئمة =

أبيه جعفر الصادق، عن أبيه الباقر[1] عن أبيه زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء، عن أبيه علي المرتضى، قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ قال: «حدثني جبريل عليه السلام» قال: «حدثني رب العزة تبارك وتعالى» قال: (لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي)».

وعن علي بن موسى الرضى، بالسند المذكور قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عموداً من ياقوت أحمر، رأسه تحت العرش، وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة، فإذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز العرش، وتحرك العمود، فيقول الله تعالى: (اسكن عرشي)، فيقول: كيف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها، فيقول الله عزوجل: (اشهدوا سكان سمواتي، إني قد غفرت

العترة النبوية، ولد بالأبواء سنة ١٢٨هـ، ويكنى بأبي الحسن، وألقابه كثيرة، أشهرها الكاظم، وكان من أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم، وله عليه السلام الكثير من الكرامات، توفي سنة ١٨٣هـ رحمه الله تعالى.

(١) - الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، أحد عظماء الإسلام وآئمة العرفان من عيون رجال الزيدية أئمة العترة النبوية، ولد سنة (٥٧) هـ بالمدينة المنورة، ونشأ بها، أخباره كثيرة ومناقبه غزيرة، حكي عن جابر الجعفي الكوفي المتوفي سنة (١٢٨)، أنه كان يحفظ عن الباقر ثمانين ألف حديث، وما سمي الباقر إلا لغزارة علمه، وقوة فهمه، كتب عنه الكثير، وألف في سيرته كتب متعدده توفي سنة (١١٤)هـ.

لقائلها»»[1].

وأخرج الديلمي عن أنس قال: إذا قال العبد: لا إله إلا الله خرقت السماء حتى تقف بين يدي الله عزوجل فيقول: «اسكني» فتقول: كيف أسكن، وأنت لم تغفر لقائلي، فيقول الله تعالى: «ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له».

وأخرج الترمذي عن جابر مرفوعاً: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[2] وقد جاء في أثناء حديث رواه الإمام زيد بن علي[3] في المجموع عن آبائه عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول اله

---

(١) الصحيفة:٤٤١.

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٠٥) كتاب الدعوات، وابن ماجه في كتاب برقم (٣٧٩٠).

(٣) الإمام الأعظم الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد سنة (٧٥) هـ بالمدينة، المنورة حليف القرآن من أعلم الناس وأفصحهم، وأخطبهم، وأزهدهم، وأشجعهم إمام الزيدية وقائدها، فاتح باب الجهاد والإستشهاد، ومجدد الثورة ضد الظلم والفساد . وهو العلم المميز للمذهب عن بقية مذاهب الشيعة، جم الفضائل، كثير المناقب، ارتوى العلم عن أبيه زين العابدين وأخيه باقر علم النبيين، رحل إلى الكوفة وناظر علمائها، بايعه أكثر من أربعين ألفاً و لم يثبت معه إلا القليل، سقط شهيداً في الخامس والعشرين، من شهر محرم سنة (١٢٢) هـ من أجل إقامة دولة الحق، وإلى جانب حماسه الثوري خلف لنا تراثاً علمياً أصيلاً وفكراً عظيماً قاوم جميع الإنحرافات، الفكرية كالجبر، والتشبيه، ونحوهما، ومن أهم مؤلفاته المجموع (الفقهي والحديثي) طبع بتحقيقنا، و(غريب القرآن)، و(الصفوة)، (والوصية)، وغيرها، كتب عنه الكثيرمن الكتاب قديما وحديثا .

ﷺ: «لقنوها موتاكم؛ فإنه من كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة»[1] ظاهر هذه الأحاديث يدل على فضل «لا إله إلا الله»، وأنها بنفسها تكفر الذنوب وتوجب لصاحبها دخول حصن الله، والأمن من عذابه، وتهز العرش، وتحرك العمود، حتى يشهد الله على نفسه سكان السماء بالغفران لقائلها، والظاهر من هذه الأحاديث أنها تكفر كل الذنوب فلم لا نقول أنها تكفر بعض العمد إن لم نقل أنها تكفر الكل، لهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقنها موتانا، وبين لنا أنها من كانت آخر كلامه أدخله الله الجنة، فهل ترضى منا بأن نخرج عن هذا الظاهر، ونقول بأنها مكفرة لبعض .. ما أظنك تخالف في هذا؟ وكل على أصله، والله الموفق للصواب.

أجر من قال كلمات عند دخول الأسواق:

روى علي الرضى بن موسى الكاظم، بإسناده إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يدخل السوق:سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ١٧٦.

شيء قدير، أعطي من الأجر بعدد ما خلق الله إلى يوم القيامة»[1].

فهل ترى هذا الأجر العظيم، والثواب الجزيل يكفر بعض العمد؟ أم تجرى به الموازنة؟ أم تغلق الباب؟.

الاستغفار وما جاء فيه من المحو للسيئات والتكفير للذنوب:

عن زيد بن علي عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قاال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه، ثم مات غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، ورمل عالج»[2].

وقال الهادي في «الأحكام»: بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن رجلاً أتاه فشكى بعض ما يكون، فقال: أين أنت من

---

(١) صحيفة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ٤٤٢، وأخرج ابن ماجه برقم (٢٢٢٦) في كتاب التجارات: «من قال حين يدخل السوق:لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة» .

(٢) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ٤١٨.

الإستغفار، ثم قال رسول الله ﷺ: «من ختم يومه يقول عشر مرات: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، اللهم اغفرلي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، إلا غفر الله له ما كان منه في يومه، أو قالها في ليله، إلا غفر الله له ما كان منه في ليله»[1] ومثله رواه محمد بن منصور رضي الله عنه بإسناده ولفظه، قال: حدثنا محمد، حدثنا علي بن أحمد بن عيسى، عن أبيه عن حسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن أبي هاشم، عن زاذان، عن سلمان رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عودوا ألسنتكم على الإستغفار؛ فإن الله لم يعلمكم الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم»[2].

وفي أمالي أبي طالب[3] بإسناده إلى علي عليه السلام قال: قال

---

(١) الأحكام للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام: ج٢/٥٢١.

(٢) كتاب الذكر للمحدث محمد بن منصور المرادي: ٢٤٤.

(٣) الإمام أبو طالب يحي بن الحسين بن هارون الحسني أحد أئمة الزيدية وعظمائها صاحب المؤلفات العديده والمقالات السديدة، ولد سنة (٣٤٠) هـ ودعا سنة (٤١١) هـ، بعد وفاة أخيه المؤيد بالله، ومن مؤلفاته : كتاب (الدعامة) في أصول الدين، وقد قام بتحقيقه د/ ناجي حسن من العراق، ولكنه خبط فيه خبط عشواء فسماه أولاً : (نصرة مذاهب الزيدية)، ثم سماه ثانياً (الزيدية) ونسبه للصاحب ابن عباد وشابه كثيراً من الأخطاء المطبعية والإملائية، واللوم يتحتم على حملة الفكر الزيدي، الذين سار تراثهم نهباً هنا وهناك وما داموا ينتظرون إلى ما يقدمه لهم الآخرون من تراثهم الضخم، وفكرهم النير فلن يفلحوا، لأن المحقق إذا كان من غير المذهب لن يحمل فكر =

رسول الله ﷺ: «لكل داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار»[1].

نعم هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة لا غبار عليها بأن الاستغفار موجب لغفران الذنوب، وإن كثرت وجلت، فهل تراها صريحة في ماقلنا بحكم الذوق والعقل، وقل ما شئت في ذلك بعد الفكر والتأمل.

التسبيح وما جاء فيه من غفران الذنوب ودفع البلاء، ورفع الدرجات :

في مجموع زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: «من سبح لله في يومه مائة مرة، وحمده مائة مرة، وكبره مائة مرة، وهلله مائة مرة، وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة، دفع الله عنه من البلاء سبعين نوعاً أدناه القتل، وكتب له من الحسنات عدد ما سبح سبعين ضعفاً، ومحى عنه

المذهب بل سيقتلع كنوزه الثمينة، وربما عبث أو شوه، ومن مؤلفاته أيضاً: (شرح البالغ المدرك) في أصول الدين، وكتاب (الأمالي) في الحديث، وكتاب (المجزي) في أصول الفقه،(والتحرير) في الفقه، (والإفادة) في التاريخ، توفي عليه السلام سنة (٤٢٤)هـ

(١) أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام: ١٩٤.

من السيئات سبعين ضعفاً»[1] ومثل هذا لا يكون إلا مرفوعاً؛ لأن فيه تقدير الثواب، وتكفير الذنوب، ودفع البلاء، ومثل هذه الأشياء لا تعلم إلا من جهة الله ورسوله، فنحكم عليه بالرفع، وإن كان علي ورسول الله ينطقان بلسان، فكلام علي صلوات الله عليه مقتبس من كلام رسول الله ﷺ.

قال في الروض النضير بعد ذكر هذا الأثر: أخرج محمد بن منصور عن أم هاني، قالت: «من كبر مائة تكبيرة قبل طلوع الشمس كان كمن أعتق مائة رقبة، ومن حمد الله مائة تحميدة قبل طلوع الشمس كان كمن نحر مائة بدنة، ومن سبح مائة تسبيحة قبل طلوع الشمس كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله مسرجة ملجمة، أو (بسرجها ولجمها)، ومن قال: لا إله إلا الله مائة مرة في كل يوم قبل طلوع الشمس لم يلحقه في ذلك اليوم ذنب، ومن قال قبل غروب الشمس كان كذلك» وأخرجه من طرق متعددة، وفيها دخلت أم هاني إلى النبي ﷺ، فقالت: قد دق عظمي وثقلت عن الصلاة -تعني النافلة- فدلني على عمل أعمله، فقال: «يا أم هاني إذا صليت الفجر فاجلسي في مسجدك حتى تسبحين الله مائة مرة»[2] وذكر

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ١٥٨.

(٢) أخرجه المحدث محمد بن منصور المرادي في كتاب الذكر: ٣٥٣، وهناك =

الحديث ورواه السيوطي في الجامع الكبير، وعزاه إلى الطبراني، وفيه: «قولي سبحان الله مائة مرة تعدل مائة رقبة تعتق لله، واحمدي الله مائة مرة تعدل مائة فرس ملجم يحمل عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة مرة تعدل بدنة مجللة تهدى إلى بيت الله، ووحدينه مائة مرة ولا يدركك ذنب بعد الشرك»[1].

[فضل " لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " وتكفيرها للذنوب]

وقد جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله أحاديث دالة على فضلها، منها عن أبي موسى الأشعري أنه قال له رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة، قلت: ما هو، قال: قل:لا حول ولا قوة إلا بالله»[2] والحديث الذي يدل على عظيم ثواب هذا الكنز، وقد وردت أحاديث تدل على فضيلة هذه

الكثير من الأحاديث في فضل ذكر الله وتسبيحه، وهي في كتاب الذكر مفصلة.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ مقارب، في كتاب الأدب برقم (٣٨٠٠)، وأحمد كذلك برقم (٢٥٦٧٥) في كتاب باقي مسند الأنصار، وبرقم (٢٦١٢٥).

(٢) مسلم برقم (٤٨٧٣) كتاب الذكر والدعاء، وبرقم (٤٨٧٥)، والترمذي برقم (٣٢٩٦) في كتاب الدعوات، وكذلك برقم (٣٣٨٣).

الكلمات بخصوصها، منها ما أخرجه ابن حبان في صحيحه مرفوعاً: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولاقوة إلا بالله سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

وقال محمد بن منصور في (كتاب الذكر) قال رسول الله ﷺ: «خذوا جنَّتَكم» قالوا: يا رسول الله أمن عدو حضر؟ قال: «لا بل من النار»، قالوا: وما جنتنا من النار؟ قال: «سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن يوم القيامة مقدمات ومؤخرات، ومعقبات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات»[1] وأخرجه أيضاً من طرق[2].

نعم أليست هذه الأحاديث تدل على ما ندعيه أم لا؟

فانظر وتأمل وقل ما شئت، فليس لنا عرض إلا إيضاح المسألة، وأنت وما اخترت.

---

(١) أخرجه المحدث محمد بن منصور المرادي في كتاب الذكر: ٣٦١.

(٢) أخرجه من طريق خالد بن أبي عمر، وطريق أخرى عن محمد بن عجلان، كما أخرجه الحاكم: ١/٥٤١، والطبراني في الصغير: ١/٢٤٩.

[الصلاة على النبي وآله]

الصلاة على النبي ﷺ، في مجموع الإمام زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وأثبت له عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، واستبق ملكاه الموكلان به أيهما يبلغ روحي السلام»[1].

وأخرج الديلمي عن أبي بكرة: «اكثروا من الصلاة عليَّ، وإن صلاتكم عليَّ مغفرة لذنوبكم، واطلبوا لي الدرجة، الوسيلة؛ فإن وسيلتي عند ربي شفاعتي لكم» أخرجه ابن عساكر عن السيد حسن، انظر في هذه الأدلة بإنصاف لتعرف مادلت عليه من صلاة الرب تعالى، وإثبات الحسنات، ومحو السيئات، وإيجاب الشفاعة لمن صلى على النبي ﷺ، ثم قل لي ما هذه الذنوب التي محتها هذه الصلاة أهي عمد؟ أم خطأ؟

المرض وما جاء فيه:

أخرج الإمام زيد بن علي عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: «من مرض ليلة كفرت عنه ذنوب سنته، فإذا

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ١٥٦.

عوفي المريض تحاتت خطاياه، كما تتحات ورق الشجر اليابس في اليوم العاصف»[1].

قال في «الروض النضير» قال ابن أبي شيبة في مصنفه: حدثنا معاوية عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن عبد الله، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته، فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، قال ﷺ: «أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم»، قلت: لأن لك أجرين، قال: «نعم. والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يمسه أذى فما سواه، إلا حط الله عنه خطيئاته كما تحط الشجر ورقها» وأخرج مسلم بمعناه في صحيحه[2].

وفي مجموع الزوائد عن أسد بن كرز أنه سمع النبي يقول: «أن المريض تحات خطاياه كما يتحات ورق الشجر»[3] وعن عبد الله بن عمر: «من سطع رأسه في سبيل الله فاحتسب، غفر له ما قبل ذلك من ذنب».

وفي أمالي المرشد بالله[4] بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن علي

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٦٦٣) في كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٦٠٥٦) في كتاب مسند المدنيين.

(٤) الإمام المرشد بالله، يحي بن الحسين، أبو الحسين، دعا في الجيل والديلم=

عن أبيه عم جده عن علي عليه السلام قال: «إن المرض لا أجر فيه، ولكنه لا يدع على العبد ذنباً إلا حطه، وإنما الأجر في القول باللسان، والعمل بالجوارح، وإن الله عز وجل يدخل بفضله وكرمه بطيب السر، والسريرة الجنة»[1].

وأخرج المرشد بالله عليه السلام عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم يصيبه نصب، أو وصب، حتى الشوكة يشأكها، إلا كتب الله له حسنة، ومحى عنه سيئة»[2].

وفي أمالي أبي طالب بإسناده عن علي الرضى بن موسى الكاظم عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عز وجل أيما عبد من عبادي ابتليته ببلاء على فراشه، فلم يشكو إلى عواده، إلا أبدلته لحماً خير من لحمه، ودماً خير من دمه، فإن قبضته فإلى رحمتي، وإن عافيته عافيته وليس له ذنب» قالوا: يا رسول الله وكيف ينبت له لحم خير

وجرجان، من عظماء الزيدية، فضائله كثيرة، وعلمه واسع، واطلاعه كبير في الرواية ومن أهم مؤلفاته في الحديث كتاب الأمالي الكبرى المعروفة بالخميسية، وكتاب الأمالي الصغرى المعروفة بالاثنينية، توفى عليه السلام سنة (٤٧٩) هـ، عن سبع وستين سنة .

(١) أمالي الإمام المرشد بالله عليه السلام: ج٢/٢٨٣.

(٢) أمالي الإمام المرشد بالله عليه السلام: ج٢/٢٨٣.

من لحمه، قال: «لحم لم يذنب من قبل»[1].

وفيه بإسناده إلى إسماعيل بن موسى عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يستأنفون العمل: المريض إذا بري، والمشرك إذا أسلم، والمنصرف من الجمعة إيماناً واحتساباً، والحاج»[2].

وفيها بإسناده إلى أبي خالد عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يصافي عبداً صب عليه البلاء صباً، وثج عليه البلاء ثجاً، فإذا دعا، قالت الملائكة: هذا صوت معروف، وقال جبريل عليه السلام: يا رب هذا عبدك فلان دعاك فاستجب له، فيقول الله عزوجل: «إني أحب أن أسمع صوته»، فإذا قال: يا رب، قلت: «لبيك عبدي، لا تدعوني بشيء إلا أستجبت لك على إحدى ثلاث خصال: إما أن أعجل لك ما سألتني، وإما أن أدخر لك في الآخرة ما هو أفضل منه، وإما أن أدفع عنك من البلاء مثل ذلك»[3].

ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالمجاهد فيجلس

---

(١) أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام: ٣٤٢.

(٢) أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام: ٣٤٤.

(٣) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ٤٢٠-٤٢١.

للحساب، ويؤتى بالمتصدق فيجلس للحساب، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ثم يساقون إلى الجنة بغير حساب، حتى يتمنى أهل العافية أن أجسادهم قرضت بالمقاريض في الدنيا»[1].

وفي (نهج البلاغة) قال عليه السلام: «جعل الله ما كان من شكوى حطاً لسيئاتك، فإن المرض لا أجر فيه، ولكنه يحط السيئات، ويحتها حت الأوراق»[2] .. إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية، والآثار العلوية.

أجل أيها المطلع على هذه الأحاديث أليست صريحة بأن الأمراض تطهر المريض من جميع الآثام، وتقضي على جميع السيئات، وتجعلها في حكم العدم المحض، فما هو الموجب لاطراحها وتعطيل معانيها؟ وهل هنالك مانع من أن يجعلها مخصصة للعمومات القرآنية، كما جعلت التوبة مخصصة؟ قد يقول القائل إن عمومات القرآن في الأصول قطعية، وهذه الآثار ظنية، فلا تنهض على التخصيص!

قلنا: إذا سلمنا هذه القاعدة فهذه الآثار لم تكن ظنية؛ لأنها

---

(١) أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام: ٣٤٣.

(٢) نهج البلاغة:٤٧٦.

متواترة، معنا مع أنها مؤيدة بكتاب الله وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤] فلم يبق هنالك مانع ولا عذر موجب لهجر الأدلة، وكسرها، وتأويلها، والله أعلم.

غسل الميت وما جاء فيه:

أخرج الإمام زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من غسل أخاً له مسلماً فنظفه، ولم يقذره، ولم ينظر إلى عورته، ولم يذكر منه سوءاً ثم شيعه وصلى عليه، وقعد حتى يدلى في قبره خرج من ذنوبه عطلاً»[1] وهو في أمالي الإمام أحمد بن عيسى؛ إلا أنه بلفظ: «أيما امرءٍ مسلم ...» إلى آخره[2].

وفي (الأحكام) بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيما امرء مسلم ...» إلى آخره[3]، وقد أخرج هذا الحديث ابن ماجة، عن أبي خالد الواسطي، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «من غسل ميتاً وكفنه، وحنطه وحمله، وصلى عليه، ولم يُفش عليه

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ١٦١-١٦٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام في أماليه: ج٢/٧٩٩، برقم (١٢٩٨).

(٣) الأحكام للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام: ج١/١٥٠.

ما رأى خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه»[1].

وفي سنن البيهقي عن عائشة: «من ولي غسل ميت فأدى فيه الأمانة-يعني يستر ما يكون عند ذلك- خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[2].

وأخرج البيهقي بسنده إلى أبي رافع أن النبي ﷺ قال: «من غسل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة، ومن حفر له أجرى عليه كأجر مسكن أسكنه، ومن كفنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق» وإذا كان في اسناده مقال فهو معضود بما تقدم.

قلت: ورواه في مجمع الزوائد عن أبي رافع بلفظه، إلا أنه قال: أربعين «كبيرة» بدل «مرة»، وليس فيه: «ومن كفنه..» إلى آخره.

فما رأيكم في هذه الأحاديث المروية عن أئمة العترة الطاهرة، وعلى رأسهم الإمام زيد بن علي، والهادي إلى الحق، والإمام أحمد بن عيسى عليهم السلام؟ أليست ناطقة بأنها تكفر جميع الذنوب؛ لأنها تقول أن الغاسل إلى آخره يخرج من

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم (١٤٥١) في كتاب ما جاء في الجنائز.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٧٦٣)، وبرقم (٢٣٧٣٥).

الذنوب عطلاً، وفي بعضها كيوم ولدته أمه، فهل ترضون منا إذا ما تأولناها، وقلنا إنها مكفرة لبعض العمد، ولا نقول أنها تكفر ولا تكفر؛ لأنها على رأيكم لا تكفر إلا الخطأ والنسيان، وقد من الله برفعهما، فالتكفير على قولكم كلا تكفير لا قوة إلا بالله[1].

الصدقة وما جاء فيها:

روى الإمام زيد بن علي في مجموع آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «صدقة السر تطفي غضب الرب تعالى، وإن الصدقة لتطفي الخطيئة كما يطفئ الماء النار؛ فإذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله؛ فإنها تقع بيمين الرب تبارك وتعالى، وكلتا يدي ربي سبحانه وتعالى يمين، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله، حتى تصير اللقمة مثل جبل أحد»[2] ومثله في أمالي أحمد بن عيسى[3] بحذف

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام في كتاب رأب الصدع: ج١/٥٩٩، برقم (٩٨٤).

(٢) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ١٩٩.

(٣) ـ الإمام أحمد بن عيسى بن الإمام زيد بن علي عليهم السلام فقيه آل محمد من عظماء أئمة الزيدية فقهاً وعلماً وشجاعة وورعاً و زهداً، ودراية بالحديث، حبسه الرشيد (الغوي) ولكنه استطاع الخلاص منه واستتر =

«يمينه»[1]، ومثل «جبل أحد».

أليس هذا الحديث ينطق ويصرح ويفهم بأن الصدقة تطفئ غضب الرب؟ وأنت تعلم أنه تعالى حليم كريم لا يغضبه إلا الأمر العظيم، وأما الصغير فهو لا يبالي به ولا يلتفت إليه، فمن هنا نعلم أن للصدقة تأثيراً عظيماً لا يكتنه كنهه؛ لأنها تطفي غضب الجبار، فيستنبط من هذا الحديث تكفير الذنوب الكبيرة، يزيدك وضوحاً وبياناً لما قلناه أن آخر الحديث يقول: «بأنها تطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار» ومن المعلوم قطعاً أن الماء يصيِّر النار رماداً، ويخمدها إخماداً.

الصيام وما جاء فيه:

في أمالي الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام قال القاسم عليه السلام، والحسن، ومحمد عليهما السلام: «ويوم عاشوراء هو اليوم

بالبصرة، ولم يزل ناشراً لفكر أهل البيت عليهم السلام حتى وافاه الأجل سنة (٢٤٧) هـ . وله كتاب الأمالي المعروف بعلوم آل محمد الذي جمعه الإمام محمد بن منصور المرادي رحمه الله تعالى وأضاف إليه من غير طريق الإمام أحمد بن عيسى وقد طبع أخيراً بعنوان: (رأب الصدع)، علق عليه السيد علي بن إسماعيل المؤيد.

(١) أخرجه الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام في أماليه: ج١/٥٩٩، برقم (٩٨٤).

العاشر من محرم بلا اختلاف في ذلك، وصومه حسن جميل، وفيه فضل كثير، ولا حرج على من ترك صومه» قال: وروي عن النبي ﷺ إنه كان يصومه، وقال القاسم عليه السلام: «صيام يوم عرفة حسن جميل، وجاء فيه فضل كثير، وأن صيامه كفارة سنة»[1].

وفي (الجامع الكافي) وقال محمد: بلغنا عن علي عليه السلام أنه كان يأمر بصومه، وذكر فيه فضلاً كثيراً، وفيه -أي في الجامع الكافي- روى محمد عن النبي ﷺ: «من صام يوم عرفة كان كفارة سنتين: سنة لما مضى، وسنة لما يستقبل»[2].

وفي (البحر): وصوم يوم عاشوراء، لقوله ﷺ: «كفارة سنة» ولفظ الحديث عن أبي قتادة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «صوم يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»[3].

وقال في البحر: وصوم يوم عرفة لقوله ﷺ: «صوم يوم عرفة» ولفظه عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: «صوم يوم عرفة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام في أماليه: ج١/٦٢٦، برقم (١٠٢١).

(٢) الجامع الكافي ـ خ ـ تحت التحقيق.

(٣) كتاب البحر الزخار: ج٢/٢٧٣، كتاب الصيام، وأخرجه مسلم برقم (١٩٧٦) في كتاب الصيام.

إني احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده»[1].

نعم .. هذان الحديثان يدلان على أن صوم هذين اليومين يكفران الذنوب، الأول يكفر ذنوب سنة، والآخر يكفر ذنوب سنتين، فماذا أراد رسول الله ﷺ بهذا التكفير، هل أراد الذنوب الواقعة على وجه العمد؟ أم الذنوب المترتبة على ما عفى الله عنه وتفضل بغفرانه؟ ومنَّ علينا برفعه تفضلاً منه وإكراماً، ورحمة منه وإحساناً، فأعمل الأحاديث وأخرجها مخرجاً حسناً، والله أعلم.

الحج وما جاء فيه:

في مجموع الإمام زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول ﷺ: «من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت، فما أتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه منها، ولا يسأله آخرة إلا أدخر له منها، أيها الناس تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما يغسلان الذنوب كما يغسل الماء درن الثوب،

---

(١) كتاب البحر الزخار: ج٢/٢٧٤-٢٧٥، في كتاب الصيام.

وينفيان الفقر كما تنفي النار خبث الحديد»[1].

وعن زيد بن علي عليه السلام عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل خرج من بيته حاجاً أو معتمراً إلى بيت الله الحرام»[2] وفيه عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: لما كان عشية عرفة ورسول الله ﷺ واقف، أقبل على الناس بوجهه، فقال: «مرحباً بوفد الله-ثلاث مرات- الذين إذا سألوا الله أعطاهم، ويخلف عليهم نفقاتهم في الدنيا، ويجعل لهم في الآخرة مكان كل درهم ألفاً، إلا أبشركم - قالوا: بلى يا رسول الله - قال: فإنه إذا كان في هذه العشية هبط الله سبحانه إلى سماء الدنيا، ثم أمر الله ملائكته فيهبطون إلى الأرض، فلو طرحت إبرة لم تسقط إلا على رأس ملك، ثم يقول سبحانه وتعالى: (يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً، قد جاؤني من أطراف الأرض، هل تسمعون ما قالوا)؟ قالوا: يسألونك أي رب المغفرة، قال: (أشهدكم إني قد غفرت لهم ثلاث مرات، فأفيضوا من موقفكم مغفوراً لكم)»[3].

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ٢٢٠.

(٢) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ٢٢١.

(٣) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ٢٢١.

وفي مجموع زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال: لما كان يوم النفر أصيب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فغسله وكفنه وصلى عليه، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم، فقال: «هذا المطهر يلقى الله تعالى بلا ذنب يتبعه»[1] وفي بعض الأحاديث: «من حج ولم يرفث، ولم يفسق خرج من حجه كيوم ولدته أمه»[2] وفي حديث آخر: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[3].

نعم .. هذا هو الحج وهذا فضله، وهذه هبة الله لنا وكرامته، أرأيت أخي ماله من المزايا العظيمة، والفضائل الكريمة، وكيف تفضَّل الله سبحانه على عباده الضعفاء المحتاجين إلى عفوه ورحمته، المفتقرين إلى غفرانه ومنه وإحسانه، ولاشك أنه غفور رحيم، فهو قد تفضَّل سبحانه في الحديث الأول وجعل الحج غاسلاً للذنوب، كما يغسل الماء درن الثوب، ونافياً للفقر كما تنفي النار خبث الحديد، كما جعل في الحديث الثاني الخارج من بيته حاجاً أو معتمراً تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله،

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ٢٢١-٢٢٢.

(٢) أمالي المرشد بالله عليه السلام: ج١/٥٦.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٦٥٠) في كتاب الحج، ومسلم برقم (٢٤٠٣) في كتاب الحج، والترمذي كذلك برقم (٨٥٥) في كتاب الحج.

كما تفضل في الحديث الثالث وأشهد على نفسه ملائكته، بعد أن سأل ملائكته وهو يعلم، وأشهدهم على نفسه، وهو لا يحتاج إلى الإشهاد؛ لأنه صادق الوعد والوعيد، فقال سبحانه «اشهدوا يا ملائكتي فإني قد غفرت لهم» بعد ما باهى بهم ملائكته، و لم يكتف بالغفران مرة، ولكنه كرره ثلاثاً، فيا له من فوز ويا لها من نجاة، سبحان الله ما أوسع عفو الله وما أعظم مغفرته، كما يخبر النبي ﷺ في الحديث الرابع أنه يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، كما يقول لنا في الحديث الخامس أنه ليس جزاء الحج المبرور إلا الجنة، فهل بعد هذا من بيان؟

وهل بعد هذا من إيضاح بأن الحج يكفر الذنوب ويجعل المذنب خارجاً من الذنوب كيوم ولدته أمه؟ وهذا لعمري دليل واضح، وبرهان قوي، وحجة نيرة على أن الحسنات يذهبن السيئات.

[الخلود في النار]

الخلود في النار: معناه البقاء الدائم الذي لا نهاية له، يوضح ذلك ويبينه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ**﴾ [الأنبياء:٣٤] فقد نفى الله هذه

الآية أن يكون لبشر البقاء المستمر، أما البقاء المنقطع فقد كان، وأما قولهم خلد السلطان فلاناً في السجن، فعلى ضرب من المجاز.

نعم .. إنا ندين الله، ونعتقد أن من دخل النار من الكفار والعصاة المتمردين الفجار فلا خروج لهم أبداً، وإليك البرهان القاطع في محل النزاع، قال الله سبحانه وتعالى رداً على اليهود لما قالت: ﴿**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً**﴾ [البقرة:٨٠] فقال الله حاكياً لقولهم: ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً**﴾ [البقرة:٨٠] ثم عقب عليهم بالاستكبار مكذباً لقولهم، ومزيفاً له: ﴿**قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٨٠] ، ثم أتى بالجواب الفاصل والقول الحق مثبتاً للنفي ببلى، فقال سبحانه: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة:٨١] وهذا رد عام، قضى الله فيه على كل كافر وفاجر، وفاسق بالخلود في النار، كما جاء في آية أخرى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا**﴾ [النساء:١٤] فهذه الآيات تدل على خلود العصاة في النار سواء كانوا من أهل التوحيد المتمردين أم من الكفار المعتدين، وكم وكم في القرآن من هذا، وأصرح من هذا قول الله تعالى في سورة يونس: ﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ**

﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:٢٧] وأما ما استدل به الخصوم في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧] فلا دلالة فيها على الخروج، أنى، وكيف يكون؟؛ لأن المشية محتملة أن يكون المعنى أنه محكوم عليهم بالنار إلا مدة البقاء في الدنيا، أو إلا مدة اللبث في الموقف، وأنه تعليق بالمحال، أي إلا ما شاء ربك، والله لا يشاؤه، فهو تعليق بالمحال، والتعليق بالمحال محال، وهذا كقول العرب: «حتى يشيب الغراب» وكما قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] مع أنهم لو قالوا أنه يلزم من التعليق بالمشية خروج أهل النار من النار لزم عليهم خروج أهل الجنة من الجنة؛ لأن الكل معلق بمشيئة الله، فلماذا الفرق بين مشيئة ومشيئة، فإن قالوا: إنه اتبع المشيئة في حق أهل الجنة بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨].

قلنا: وكذلك أهل النار قد جاءت الآيات الكثيرة تؤكد الخلود كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الإنفطار:١٦] وكقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج:٢٢] وكقوله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ

﴿تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] وكقول مالك جواباً على أهل النار: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧] .

وكم.. وكم من آيات قرآنية محكمة تدل على الخلود الأبدي، مع أنه يلزمهم خروج الكفار من النار؛ لأن الشقاوة تعم الكل، فالقول بخروج العصاة من النار دون الكفار حكم وتخصيص من دون مخصص فإن قالوا لنا: أحاديث تخصص العصاة؟ قلنا: فمن الرواي لها أليس الراوي أبو هريرة[1] الذي أتى بكل طامة في الإسلام؟ وتقرب من معاوية؟ ولا يبعد أنه تقرب بوضع مثل هذه الأحاديث تزلفاً وتقرباً إلى معاوية؛ لينال من دنياه، ولعمري لقد جرحه أمير المؤمنين علي عليه السلام ورماه بالكذب، وسماه أكذب دوس، بل لقد ضربه ابن الخطاب على الكذب، وحقاً إن جرح علي له، وابن الخطاب فوق جرح الذهبي، ويحيى بن معين، وابن حجر، وبحق أن قاعدة أهل الحديث في غاية الإنهيار، وهي قولهم: بأن كل الصحابة عدول[2]، فالصحابة لا يدعون لأنفسهم هذه المنزلة ولا يثبتون لها العصمة، فقد جرح بعضهم البعض، بل لقد قتل بعضهم

---

(١) انظر كتاب ((أضواء على السنة)) المحمدية لمحمود أبو ريه، و((كتاب أبو هريرة)) ـ له أيضاً، وكتاب ((أبو هريرة)) لعبد الحسين شرف الدين .

(٢) راجع كتابنا ((علوم الحديث عند الزيدية والمحدثين)).

الآخر، ومما لا شك فيه أن فيهم الزاني أمثال «المغيرة بن شعبة»، وشارب الخمر وقاذف المحصنات، وفيهم البغاة على إمام الحق، الخارجين على أمير المؤمنين وسيد الوصيين، أمثال «عبد الله بن عمر»، والخارج عليه بسيفين، وهو من رواة حديث الخروج من النار، وفيهم القانت بلعن «أمير المؤمنين» و«الحسن» و«الحسين» عليهم السلام و«عمار بن ياسر» وغيرهم من الصحابة الأخيار رضي الله عنهم، بل لقد استباحوا لعن علي عليه السلام على سبعين ألف منبر، ورموه بالإلحاد، فلقد أمر معاوية عماله أن يلعنوا علياً بهذا اللفظ، وهو: «اللهم العن أبا تراب، فإنه ألحد في دينك، وصد عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً» بل لقد قال خالد بن عبد الله القسري: «اللهم العن علياً بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر رسول الله عليه على ابنته، وأبا الحسن والحسين» ثم يقبل على الناس ويقول هل كنيت، ومن المعلوم قطعاً أن حب علي إيمان، وبغضه نفاق، ولو لم يرد فيه إلا الحديث المشهور «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»[1].

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد شهد على المنافقين،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٦٦٩) في كتاب المناقب، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه برقم (٤٩٣٢)، وأحمد برقم(٦٩٣)، وبرقم(١٠١٠).

قال جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] أفبعد شهادة الله عليهم بالكذب هل ينبغي لنا أن نأخذ ديننا عنهم؟ ونجعلهم أمناء الله على شرعه؟

سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم! أو ما قد قال رسول الله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذوا دينكم»[1] هذا ومما يؤيد ما قلنا من أن الصحابة لا تدعي نفسها هذه المنزلة المشعرة بالعصمة، وحقاً لقد جرح بعضهم الآخر كما تقدم آنفاً، فهذا «علي» كرم الله وجهه يقول: «ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله ﷺ إلا استحلفته، وحدثني أبو بكر وصدق»[2] وهذا لا يدل على تصديقه «لأبي بكر» فلا مانع من أنه إنما صدقه، لأن الحديث عنده معلوم له من جهة أخرى، وهذا «عمر» لما أستأذنه «الزبير» في الغزو، قال: إني ممسك بباب هذا الشعب أن تتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم، وقال «عمر» في «سعد بن عبادة» سيد الأنصار: «اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً اقتلوه فإنه منافق» ولقد شتم «عمر» «خالد بن

---

(١) رواه العلامة محمد بن الحسن في سبيل الرشاد، وأخرجه مسلم في المقدمة، وفي مقدمة سنن الدارمي برقم (٤٢١).

(٢) الترمذي في كتاب الصلاة، برقم (٣٧١)، وأخرجه أبو داود في سننه برقم (١٣٠٠) في كتاب الصلاة، وفي مسند أحمد برقم (٢).

الوليد» وحكم بفسقه، وخوَّن «عمرو بن العاص» ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيء، وقال «عبد الرحمن بن عوف»: «ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي "عثمان" يا منافق» وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي، وهذه عائشة خرجت بقميص رسول الله ﷺ تقول: إن هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل، و«عثمان» قد أبلى سنته، وروى بعض الصحابة حديث: «الشؤم في ثلاثة»[1] فكذبته، وروى بعضهم حديث: «التاجر فاجر» فكذبته، وأنكر «العباس» و«علي» و«فاطمة» حديث أبي بكر «نحن معاشر الأنبياء لا نورث..»، وقالوا: كيف كان النبي يعرف هذا الحكم غيرنا، ونحن الورثة وأولى الناس بأن يؤدي هذا الحكم إليه، و لم يقبل سعد بن عبادة، وكثير من الصحابة حديث أبي بكر «الأئمة من قريش...»، وقيل: لابن عباس رضي الله عنه عنهما أن «عبد الله بن الزبير» يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل، فقال: «كذب عدو الله» وكذَّب «عروة بن الزبير» وهو تابعي «ابن عباس» وهو صحابي حين أخبر أن «ابن

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٤٦) في كتاب الجهاد والسير، ومسلم برقم (٤١٢٨)، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأدب برقم (٢٧٤٩) وأحمد في مسنده برقم (٦١١٧).

عباس» يقول أن النبي ﷺ أقام بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر سنة، فقال: كذب ابن عباس وقد جاء أمثال هذا عن كثير من الصحابة مما لا يمكننا الإطالة بذكره، فلو كانوا يعتقدون عدالة الكل كما يزعم أهل الحديث لما ساغ لأحد منهم رد رواية الآخر بل يجب عليه قبولها والإذعان بما فيها، وبالجملة فالقول بعموم التعديل مردود مهدوم بما تقدم، و لم يبق بعد هذه النقول والإيرادات لدى القائلين به من حجة يدافعون بها عن هذه القاعدة التي اصطلحوا عليها، إلا أن يقولوا هذا لا يصح، وهذا لم يثبت، وإن كان ثابتاً وصحيحاً في نفس الأمر، والله أعلم.

هذا وقد أهمل كثير من أهل الحديث واجب التثبت في الرواية كما أمر الله من جانب، وتجاوزوا القدر المطلوب من التثبيت من جانب آخر، فتراهم يصححون ويقبلون بلا أدنى توقف رواية من أخبر الله عنه في كتابه أنه فاسق، «كالوليد بن عقبة»، ومن أخبر النبي أنه وزغ ملعون «كالحكم» ومن أخبر عنه أنه في النار «كسمرة» ومن أخبر النبي أنه داع إلى النار، «كمعاوية» و«عمرو» وأمثالهم، ثم تراهم يصعفون من يقل فيه «يحيى بن معين»، أو «أبو حاتم»، أو «ابن القطان»، أو «ابن أبي خيثمة»، أو أمثالهم، لا أعرفه، أو لا أحب حديثه، أو في نفسي منه شيء، أو كان يتشيع، أو ربما يهم، وأمثال هذا فيما لا

يثبت به جرح، و لم يقم عليه دليل، ولو كان من قيل فيه ما قاله أحدهم من أصدق الناس وأتقاهم درج على هذا طائفة بعد طائفة، وقبيل بعد قبيل، داء عظال لا علاج له، إلا الإبتهال إلى الله عزوجل أن يجعلنا على بصيرة من هذا الأمر بتوفيق منه وإحسان، تم نقل هذا البحث من عند قوله، فهذا علي يقول ما حدثني أحد بحديث إلى آخره، من «النصائح الكافية»[1] بتصرف يسير.

أفبعد هذا يليق بنا أن نجعل هؤلاء -أعني أهل الحديث- هم الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ، على ما فيه من الإفراط والتفريط، والغلو الشديد؟

أوما قد بين لنا رسول الله ﷺ عمن نأخذ ديننا عنه، فقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[2] كما قال ﷺ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»[3] وكما بين لنا ﷺ بقوله لعلي عليه السلام: «أنت تبين للأمة ما اختلفت فيه من بعدي»، إلى غير ذلك من الأحاديث،

---

(١) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، للشيخ الجليل محمد بن عقيل، وقد تركت التعليق على كل هذه الروايات والأشخاص، لأنها موجودة بتمامها في النصائح الكافية، فليرجع إليها من أراد التوسع في ذلك، وكذلك يرجع إلى كتابنا «علوم الحديث».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب، برقم (٣٦٧٥).

مع أنا نعارض أحاديثهم بأحاديث مروية عن القوم أنفسهم، فقد روى مسلم والترمذي: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[1].

وعن عبد الله بن عمر انه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه» كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل، ولا سيئ الملكة»، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة نمام»[2] وكما روى الإمام أبو طالب في الأمالي بإسناده إلى الرسول ﷺ أنه قال: «من اقتطع حق مسلم بيمينه لم يرح رائحة الجنة» قيل يا رسول الله: ولو يسيراً، قال: «ولو سواكاً من أراك»[3].

إلى غير ذلك من الأحاديث المصرحة بخلود أهل النار في النار، وعدم الخروج منها، وعلى فرض التعارض، فلنرجع إلى كتاب الله، ولا شك أن أصل هذا المذهب مذهب اليهود الذي

---

(١) مسلم برقم (١٣١) كتاب الإيمان، والترمذي برقم (١٩٢١، كتاب البر والصلة، وأبو داود (٣٥٦٨) في كتاب اللباس.

(٢) مسلم برقم (١٥١) كتاب الإيمان، وأحمد في مسنده برقم (٢٢٢٧٠) في كتاب باقي مسند المكثيرين.

(٣) الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي: ٣١٣.

حكى الله عنهم هذا المذهب الخسيس المنهار، الحامل للعباد على مخالفة رب الأرباب: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، فكر الله عليهم بالإنكار، والتوبيخ، والتكذيب بقوله: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠] ثم جاء بـ(بلى) المفيدة للإثبات بعد النفي، معمماً للحكم على كل عاص، ومن المعلوم عند الأصوليين أن العام لا يقصر على سببه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:٨١] ، ثم رتب الحكم على الوصف، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨١] وهذا نص في محل النزاع، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن:٢٨] ، وكما قال سبحانه وتعالى:﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الإنفطار:١٦]، وكما قال جل وعلا: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا...﴾ [السجدة:٢٠] ، وكما قال سبحانه وتعالى حاكياً عن مالك في جوابه على أهل النار عندما طلبوا تخفيف يوم من العذاب، فقال: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

أجل.. وهذا المسلك هو الذي ينبغي أن نسلكه عند التنازع عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

﴿وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

قال علي كرم الله وجهه مفسراً للآية: «فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الرد إلى سنته الجامعة غير المفرقة»[1] قال الشيخ محمد عبده المصري شارح النهج عند تعليقه على هذه الكلمة: «المراد بالسنة الجامعة ما اتفق عليه الخصمان، والقرآن نحن متفقون عليه جميعاً، فلا نحتاج فيه إلى تزكية الذهبي، ولا يحيى بن معين، ولا ابن حجر المكي، ولا العسقلاني، ولا غيرهم من رجالات الجرح والتعديل، كابن الصلاح، وأمثاله من النواصب».

[الخاتمة]

ولنختم الرسالة بقول علي عليه السلام -تبركاً به-، قال عليه السلام وهو يحذرنا من الموت ويخوفنا من مغبته: «فاحذورا الموت؛ فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جسيم، بخير لا يكون معه شر أبداً، وشر لا يكون معه خير أبداً» ثم يقول في التحذير من النار: «فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها

---

(١) نهج البلاغة: ٤٣٤.

رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة»[1].

كما يقول عليه السلام في خطبته الغراء واصفاً للإنسان ومصيره بعد حمله إلى قبره: «حتى إذا انصرف المشيع، ورجع المتفجع، أقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال، وعثرة الإمتحان، وأعظم ما هنالك بلية، نزول الحميم، وتصلية الجحيم، وفوارات السعير، وسورات الزفير، لا فترة مريحة، ولا دعة مزيحة، ولا قوة حاجزة، ولا موتة ناجزة، ولا سنة مسلية بين أطوار الموتات، وعذاب الساعات، إنا بالله عائذون»[2] وقال أيضاً: «أهل المعصية أنزلهم شر دار، وغل الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران، ومقطعات النيران، في عذاب قد أشتد حره، وباب قد أطبق على أهله، في نار لها كلب ولجب، ولهب ساطع، وقصيف هائل، لا يظعن مقيمها، ولا يفادى أسيرها، ولا تفصم كبولها، لامدة للدار فتفنى، ولا إجابة للقوم فيقضى»[3].

فلينظر الناظر بعقله في كلام الوصي، فهو الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الإلهي، وعبقة من الكلام النبوي، وليتأمل فيه

---

(١) نهج البلاغة: ٣٨٤.
(٢) نهج البلاغة: ١١٣.
(٣) نهج البلاغة: ١٦٢.

هل يدل على الخلود في النيران والمكث الأبدي الذي لا نهاية له؟ أم يدل على الخروج منها، والإنتقال إلى جنات تجري من تحتها الأنهار؟!!

ولعمري إنا نود هذا لو كان صحيحاً مؤيداً بالأدلة والبراهين الصحيحة؛ لأنا نعرف من أنفسنا بأنا مذنبون، وفي حق الله مقصرون، لا يصلح لنا إلا مثل هذا المذهب المرن، المغري للعباد على المعاصي، فلنتق الله تعالى في أنفسنا ولنحاسبها حساباً دقيقاً، ولنعلم أنه ليس بعد الموت مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، فلا نمني أنفسنا بالأماني الباطلة، والأقوال الخيالية، فالعاقل من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء:١٢٣].

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأستغفر الله العظيم لي ولجميع إخواني المؤمنين، كما أسأله حسن الختام والتوفيق، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين. آمين.

قال في النسخة التي اعتمدناها:

هذا ولقد كان الفراغ من نسخ هذه الرسالة التي هي لمولانا

العلامة عماد الإسلام، وتاج الآل الأعلام، يحيى بن عبدالله راوية الهدوي، حفظهم الله وأبقاهم وزاد في الرجال من أمثالهم.

يوم الثلاثا الموافق ٥شهر جمادى الآخرة عام ١٣٩٩هـ.

بقلم الفقير إلى ربه الراجي من الله غفران ذنوبه محمد بن عبد الله الحجازي غفر الله له ولوالديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات آمين آمين.

وأقول: جزى الله مؤلف هذه الرسالة خيراً، وكتب له الأجر الجزيل، والثواب العظيم، ويرجى ممن اطلع عليها خصوصاً من طلابه ومحبيه أن يقرأ الفاتحة، والإخلاص إلى روحه الطاهرة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطاهرين،،،

فهرس المواضيع

مقدمة التحقيق ٣

هذا الكتاب: ٤

ترجمة المؤلف ٨

نسبه: ٨

مولده ونشأته وشيوخه: ٩

هجرته وتلامذته: ١١

طريقته في التدريس: ١٢

إجازاته: ١٣

برنامجه اليومي: ١٤

إنجازاته ومؤلفاته: ١٥

مقتطفات من خطبه ومواعظه: ١٦

شهادة العلماء بتحقيقه وفضله: ١٨

مرضه وصبره: ٢٠

وفاته وموضع قبره: ٢٠

عملي في تحقيق هذه الرسالة: ٢٢

[مقدمة المؤلف] ٢٥

[سبب التأليف] ٢٧

[بداية المناقشة] ٢٨

[أنواع المعاصي] ٣٠

[الأدلة العلوية على أقسام المعاصي] ٣٤
[اعمال الأدلة وتطبيقها] ٣٥
[دعوى أن كل عمد كبيرة والجواب عليها] ٣٦

[الأدلة من السنة على الموازنة] ٣٩

[الوضوء وتكفير السيئات] ٣٩
[الأذان وتكفير السيئات] ٤١
[الصلاة] ٤٣
[الكبائر الأخرى] ٤٤
صلاة التسبيح وما جاء فيها من الفضل: ٤٧
[أفضل النوافل المكفرة] ٤٩
التهليل وما جاء فيه: ٥١
أجر من قال كلمات عند دخول الأسواق: ٥٤
الاستغفار وما جاء فيه من المحو للسيئات والتكفير للذنوب: ٥٥
التسبيح وما جاء فيه من غفران الذنوب ودفع البلاء، ورفع الدرجات :٥٧
[فضل " لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" وتكفيرها للذنوب] ٥٩
[الصلاة على النبي وآله] ٦١
المرض وما جاء فيه: ٦١
غسل الميت وما جاء فيه: ٦٦
الصدقة وما جاء فيها: ٦٨
الصيام وما جاء فيه: ٦٩
الحج وما جاء فيه: ٧١

[الخلود في النار] ٧٤
[الخاتمة] ٨٥
فهرس المواضيع ٨٩

** تم الكتاب بحمدالله الواحد الوهاب **